الإلحاد

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

ردمك: 978-977-6682-35-1
رقم الإيداع القانوني: 2020/3024

ملتقى المعرفة

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر. يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني وتصميم الغلاف: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

القاهرة / مصر
جوال: 00201278821670
00201003528058

د / يوسف أبو الحجاج

الإلحاد

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يظن البعض أن الإلحاد بدأ بعد ظهور داروين بنظرية التطور ولكن هذا الاعتقاد خاطئ تمامًا فالإلحاد موجود في التاريخ القديم وهو آفة كل عصر.

ويمتد تاريخ الإلحاد إلى العصور القديمة حيث كان الناس بعضهم أو أكثرهم لا يؤمنون بالله، وكافحوا الديانات الموجودة في زمنهم متجهين لعبادة الأصنام أو غيرها والتي تعد إلحادًا بحد ذاتها، في ذلك الوقت ومع اختلاف المسميات ظهرت معتقدات إلحادية كثيرة لا تؤمن بالله تعالى لذا كان الإلحاد - وسيظل - آفة كل عصر يجب مقاومتها فور ظهورها.

• أولى حركات الإلحاد المسجلة تاريخيًا يقال إنها كانت في الهند وبالتقريب عام ١٠٠٠ق.م، حيث كانت أولى علامات الشك في النص المقدس لديهم والمسمى (RigVeda) ، وبعد ما يقرب من ٥٠٠ عام أخرى ٥٠٠ق.م ظهرت البوذية والتي استوحت أفكارها من النصوص الدينية الهندية المقدسة السابق الإشارة إليها حيث حاول بوذا (٥٦٣ - ٤٨٣ ق.م) أن ينقل الفكر من التركيز على الآلهة والتي كان عددها قد جاوز الآلاف في الهندوسية القديمة ودعا إلى التركيز على المعاناة الإنسانية والخلاص منها، وتزامن ذلك في أوروبا وخاصة اليونان حوالي عام ٤٢٠ ق.م حين ظهر الفيلسوف ديموقريطس الذي دفع بنظريته التي تلغي وجود الآلهة وإثباته أن العالم مادي بحت، وبحلول القرن الرابع قبل الميلاد وبالتحديد (٢٧٠ - ٣٤١) ق.م ظهر الفيلسوف الملحد أبيقور والذي أنشأ (مجادلة البشر)، ثم كان ظهور زرادشت في فارس وأفكاره حول صراع الآلهة (ما بين إله الشر وإله الخير) وهو فكر إلحادي بحت، وإلى أن جاء العصر الحديث وكانت أفكار كارل ماركس وتشارلز داروين وفريدريك نيتشه وسيجموند فرويد، وظهور أفكار إلحادية منها: أن الدين صيغةٌ البشر ابتكروها لتفسير

ما هو مجهول لديهم من ظواهر طبيعية أو نفسية أو اجتماعية، واعتبر كارل ماركس الدين أفيون الشعوب، أما سيجموند فرويد فقد قال:

(إن الدين وَهْمٌ كانت البشرية بحاجة إليه في بداياتها، وأن فكرة وجود إله هو محاولة من اللاوعي الأب) وهكذا كانت الأفكار الإلحادية مختلفة ومتنوعة ومتضاربة ومتباينة.

والحقيقة التي لا ريب فيها أنه بدراسات متعمقة لأصحاب الأفكار الإلحادية وأصحابها من الفلاسفة والساسة وغيرهم تبين أن أصحاب هذه الأفكار ليسوا أسوياء نفسيًّا على الإطلاق، وأن وراء كل منهم عقدة نفسية وعدم اتزان نفسي دفعه إلى ذلك التفكير؛ لأن فكرة وجود الله فكرة عقلانية تجعل الإنسان متزنًا نفسيًّا وعقليًّا وسلوكيًّا؛ لأنك حين تخاف الله فإنك لن تخترق قانون الله الذي وضعه للإنسان على الأرض والذي أتت به رسائل الرسل والأنبياء.

إذا لم يكن الله موجودًا فكل شيء مباح هذا ما توصل إليه أحد الملاحدة وهو ما دفعه إلى الإيمان.

في هذا الإصدار نلقي الضوء على الإلحاد والملاحدة، ولماذا ألحدوا؟

والإلحاد بمعناه الواسع عدم الاعتقاد أو الإيمان بوجود الآلهة وبالمعنى الضيق يعتبر الإلحاد على وجه التحديد موقف أنه لا توجد آلهة.

وعمومًا يشير مصطلح الإلحاد إلى غياب الاعتقاد بأن الآلهة موجودة، ويتناقض هذا الفكر مع فكرة الإيمان بالله، إذ أن مصطلح الألوهية يعني الاعتقاد بأنه يوجد إله واحد.

والإلحاد آفة في كل العصور وقبل الإسلام كان الدهريون يؤمنون بقدم العالم وأن العالم لا أول له.

ويفرق فريق من العلماء ما بين الإلحاد القوي أو الإلحاد الموجب وهو نفي وجود إله، والإلحاد الضعيف أو الإلحاد السالب وهو عدم الاعتقاد بوجود إله.

وهناك تسميات مختلفة قديمة للملاحدة منها: الطبيعيون، والوجوديون، واللادينيين، واللاأدرية، والزنادقة، والهراطقة... وغيرها... وفي العصر الحديث ظهرت عبادة الشيطان والإيموز وغيرها.

(والخلاصة: أن الإلحاد ليس ظاهرة عصر معين أو زمن معين بل هو آفة كل العصور، قد يكون هناك أسباب تجعله يطفو على السطح أحيانًا وأسباب تجعله يغوص في أعماق محيط المعرفة).

(هذا الإصدار صرخة تقول لكل ملحد: أنت تحتاج لطبيب نفسي لعلاجك ولست تحتاج لواعظ يرشدك إلى طريق الإيمان بالله الواحد القهار).

(هذا الإصدار رسالة لكل أسرة، للمدرسة، للجامعة، لكل المؤسسات المسئولة عن تربية الأجيال، الإلحاد ظاهرة نتيجة الخواء الفكري والعقائدي، نتيجة اضطراب نفسي نتيجة تفكك أسري).

والله أسأل أن يهدينا لسواء السبيل

والله الموفق والمستعان...

المؤلف/ يوسف أبو الحجاج

الإلحاد وتعريفه

إن كل ما تراه بعينيك أو تسمعه بأذنك أو تعقله بقلبك وكل ما نالته حاسة منك فهو دليل على وجود الله عز وجل

الإلحاد آفة العصر وكل عصر نعم الإلحاد آفة العصر وكل عصر، وكما هو حال الآفة لا بد من مقاومتها والقضاء عليها كذلك حال الإلحاد لا بد من مقاومته والقضاء عليه عند ظهوره.

الأدلة العقلية والنقلية والحسية والفطرة كلها شاهدة على وجود الله المتفرد في ربوبيته والمتوحد في ألوهيته، عز سلطانه، وعظم جلاله، وعلا شأنه ونفذ أمره، وكمل بهاؤه، هو الدليل بنفسه على نفسه كما قال بعض العارفين: ... كيف أطلب الدليل على ما هو دليل لي على كل شيء، فأي دليل طلبته عليه فوجوده أظهر منه.

ومع كون هذه القضية أظهر القضايا وأوضحها إلا أنه وجد شذاذ من البشر أنكروها، وأضحت فتنتهم ووباؤهم أن غزوا مراكز في هذا العصر على ناشئة المسلمين وشبابهم؛ من أجل أن يصيبوا عقيدتهم وأخلاقهم في مقتل لذا كان الوقوف في وجه هؤلاء من أعظم الجهاد في سبيل الله.

الإلحاد في اللغة يعني: الميل عن القصد.

وفي الاصطلاح يعني: إنكار وجود الله تعالى.

والملاحدة هم الملحدون الذين لا يؤمنون بوجود الله جل وعلا وهؤلاء الملاحدة يقولون: (إن الكون وُجد بلا خالق، والمادة أزلية وهي الخالق والمخلوق معًا) وبالتالي فهم يكفرون بالرسل ويجحدون وجود الأديان.

ويمكن تصنيف الملاحدة إلى صنفين:

الأول: من يعتقد بنفي وجود الله جل وعلا.

والثاني: وهم الذين يطلق عليهم اسم (اللاأدرية) وهم الذين يقولون: لا ندري هل يوجد رب خالق أم لا؟

وهناك تصنيفات عديدة لأنواع الملاحدة مثل الإلحاد الموجب والإلحاد السالب.

والبحث والواقع يؤكدان أن معظم المفكرين المعاصرين الذين أعلنوا إلحادهم لم يكونوا متمتعين بصفة الإلحاد الموجب كما يقولون - أي أنهم لم يستندوا إلى أي نظرية علمية تثبت عدم وجود الله -، وإنما هم ملحدون إلحادًا سلبيًّا أي أنهم يبدون فقط عدم قناعتهم بأدلة وجود الله عز وجل.

وذهب كذلك طائفة من ملحدي العرب الذين أطلق عليهم اسم (الدهرية) وهم القائلون بقدم العالم وإنكار الصانع.

وفي العصر الحديث ترعرعت الآفة وأخذت تنمو مع نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، وكان ظهور (ماركس) و (داروين) و(نيتشه) و (فرويد) الذين قاموا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية بطريق ليس لاعتقاد الخالق فيها أثر.

ولم يقف أمر تلك الآفة المدمرة عند العلماء التجريبيين أو النفسانيين أو الاجتماعيين بل تعداهم إلى الأدباء الذين أعلنوا ما أسموه (فكرة وفاة الدين والخالق (كما قال هؤلاء الملاحدة: إن الدين أبعد الإنسان عن إنسانيته بفرضه قوانين تعارض طبيعة البشر في الحرية والسعادة... وفي ذلك الإطار قال (نيتشه): إن الدين فكرة عبثية وجريمة ضد الحياة.

وهكذا كان الغرب هو مصدر الإلحاد المعاصر الذي انتشر سريعًا في المجتمعات الأوربية وتمت محاولات عديدة لتصديره إلى عالمنا العربي الإسلامي.

والبيانات الحديثة والمعاصرة عن الإلحاد في أوروبا وأمريكا تقول:

- إحصائية مؤسسة «يوربا روميتر» ذكرت أن ١٨٪ من سكان دول الاتحاد الأوروبي أصبحوا ملاحدة لا يؤمنون بوجود خالق وأن ٢٧٪ منهم لا يؤمنون بخالق وإنما يؤمنون بعالم روحاني أو قوة وراء الحياة طبقًا لاستطلاعات الرأي في ٢٠١١م.

- كما أن إحصائية مؤسسة «إبسوس ريد «وهي مؤسسة شهيرة في الإحصائيات بكندا ذكرت أيضًا أن أعداد الملاحدة في كندا طبقًا لإحصائية عام ٢٠١٥م وصلت إلى ٤٣٪.

- كما ذكرت مجلة فاينانشيال تايمز في استطلاع لها من اليابان أن ٥٦٪ من اليابانيين أصبحوا ملاحدة طبقًا لإحصائيات ٢٠١٦م.

- بينما ذكرت في المكسيك أنه يزداد بنسبة ٥,٢٪ سنويًا من عام٢٠١٦ م وأهابت برجال الدين للتدخل الفوري والحاسم لمواجهة الظاهرة.

- وفي أمريكا كانت النسبة ٩٪ من الأمريكان ملاحدة والجامعات هي الموقع الخصب لانتشارهم.

أنواع الملاحدة الستة:

أذاعت شبكة قنوات الـ (CNN) الأمريكية مع مطلع عام ٢٠١٨ تقريرًا عن الإلحاد وغير المؤمنين بالله حول العالم، وجاء في التقرير أن جميع الملاحدة يندرجون تحت عنوان واحد مشترك، وأن طريقة تفكير الملحدين هي واحدة، وتتمحور حول عدم وجود إله، واعتبار الديانات أساطير وخرافات، وأشارت المحطة الفضائية إلى تقرير نشر مؤخرًا على مجلة تايم الأمريكية أظهر اختلافًا في نمط تفكير الملحدين ودوافع عدم إيمانهم، وعلى ضوء هذا التقرير تم تقسيم الملاحدة إلى ستة أنواع يمكن إيجازهم فيما يلي:

النوع الأول:

الملحدون المثقفون: وهم يستندون في إلحادهم على المعلومات والدلائل التي يجمعونها حول الديانات ويقتنعون بها لتكون أساسًا لجدالهم ومناظراتهم.

النوع الثاني:

وهم الملحدون النشطاء، وهم أشخاص ينشطون بالدعوة إلى الإلحاد، ويؤكدون أن العالم سيكون مكانًا أفضل إذا كان كل العالم ملحدًا.

النوع الثالث:

الملحدون الطلاب وهم مجموعة لا تتمسك بمعتقدها الإلحادي بشكل كامل، ولا يملكون موقفًا محددًا من قضية وجود الله.

النوع الرابع:

الملحدون المعادون للمؤمنين، وهم مجموعة تحارب الإيمان وتصنف الاعتقاد بوجود الله جهل، ويرون أنفسهم أكثر الناس فهمًا بخطورة الأديان على العالم.

النوع الخامس:

وهم مجموعة من الملحدين تعتبر أقلية بالنسبة لأنواع الملحدين الستة وهم ببساطة لا يخوضون بأمور وجود الدين من عدمه.

النوع السادس:

الملحدون المتتبعون لبعض طقوس الديانات، وهم مجموعة لا تؤمن بالديانات أو وجود حياة بعد الموت، إلا إنهم يتتبعون بعض العادات التي لها أصول دينية مثل التأمل أو ممارسة اليوجا إلى جانب احتفالاتهم

بالأعياد الدينية.

ويلاحظ أن هذا التقسيم أغفل مظاهر حديثة مثل عبادة الشيطان والإيموز وغيرها من مظاهر الإلحاد الحديثة.

النظريات الفلسفية للإلحاد

كيف أطلب الدليل على ما هو دليل لي على كل شيء

تعددت النظريات الفلسفية للإلحاد بحسب المدارس الفكرية ومعتقداتها وبالطبع المجال لا يتسع لكل هذه النظريات أو بعضها ولكن يمكن الإشارة إليها بإيجاز شديد للتعرف على أهمها وما تحويه من أفكار.

يقول د. صالح بن عبد العزيز سندي أستاذ العقيدة المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في بحثه القيم عن الإلحاد: هناك عدة نظريات فلسفية في الإلحاد ومن أهم تلك النظريات الفلسفية.

أولا: نظرية تعظيم العقل

تقول هذه النظرية: إن العقل عظيم، وأن باستطاعته أن يدرك كل شيء مع حصر الموجودات في المحسوسات. وهي نظرية بالطبع مغلوطة ويمكن القول إن أصحابها هم في ذلك مخالفون للعقل والحس؛ لأن العقل البشري أضعف من أن يحيط علمًا بكل شيء، وكذلك الحس فإنه محدود، إذ ليس كل الموجودات محصورة في العقل فنحن نسلم أن المحسوس موجود، ولكن ما الدليل على أن غير المحسوس غير موجود، إن الحس أضعف من أن يكون معيارًا للموجودات، ومما يدل على ذلك أن الحس قد يخون صاحبه، وقد يظهر له أشياء على غير وجهها، ولذلك تأمل في الصحراء بعينيك في الطريق وسط الظهيرة، ألست تبصر؟ والبصر من أهم الحواس، يمكنك أن ترى الماء في الطريق، وهو سراب لا حقيقة له، وكذلك القلم الذي يوضع في كأس من الماء فإنه يرى مكسورًا وهو ليس مكسور.

فالحس إذن لا ينبغي أن يعتمد عليه ذلك الاعتماد وكذلك العقل وحده، إن العقل والحس لا يمكن أن يُفسر بهما كل شيء وأن يدركا أغوار كل شيء

وأن يحكما على كل شيء، فهذه الروح التي هي أقرب إليك من كل شيء يعجز العقل والحس عن معرفة حقيقتها، كما يعجزان عن معرفة حقيقة العقل نفسه، وقل مثل ذلك في حقيقة الرؤى والأحلام وحقيقة الجاذبية ... إلخ.

لا يستطيع ملحد إنكار وجود هذه الأشياء مع عجز عقله وحسه عن معرفة إثباتها؛ إذن إذا تحذلق الملحد فقال: «بما أننا لا نرى الله إذن هو غير موجود» فهذا مكابر للعقل والحس؛ لأننا لو اعتمدنا قاعدته في المجال العلمي الذي يتحجج به، فإنه ستسقط جميع أسس العلم التجريبي من أصولها، مع أن هذا الملحد يزعم أنه يعتمد على النظريات العلمية، فلا أحد من العلماء رأى الجاذبية، ولا أحد منهم رأى الإلكترون، ولا أحد منهم رأى الأثير، ولا أحد منهم رأى الطبيعة الموجبة للضوء ولا رأى الطبيعة الذرية، ولا ... ولا ... ولا ... ولا في سلسلة طويلة من الحقائق العلمية تم استنتاجها مع عدم رؤيتها بالعين.

فعدم رؤيتنا لله تبارك وتعالى وعدم إدراكنا لحقيقته لا يعنى عدم وجوده، ويكفي العقول أن تستدل على وجوده بآثار صنعه وما فيه من نظام وإتقان وإحكام، أما التطلع إلى إدراك حقيقة ذاته وصفاته تبارك وتعالى فهذا ما لا سبيل للعقل إليه.

وإذا لم يتمكن عالم من علماء الطبيعة أن يعرف كل شيء عن حقيقة جناح الذبابة، فكيف يريد أن يعرف كنه ذات الله العظيم تبارك وتعالى، فاحتجاب الله عز وجل عن خلقه ليس دليلًا على أنه غير موجود سبحانه وتعالى، وإلا فهل يقول الملحد عن رجل غاب عن ابنه قبل ولادته فلم يلقه في حياته، هل يقول ذلك الملحد أن هذا الطفل لا أب له لأنه لم يلقه ولم يشاهده في حياته.

الحقيقة أن منهج ونظرية (تعظيم العقل) التي قال بها فلاسفة الملاحدة

منهج إلحادي هش وإن كابر الملحد.

والعجيب أنهم متناقضون - هؤلاء الملاحدة - لأنهم يجحدون الأخبار ويقلبونها في آن واحد، فحينما يناقش أحدهم فيستدل بنظرية ما، فإنه يقال له هل طبقتها وأدركتها بنفسك؟ يقول: لا. وإنما قام بها (فلان) ونص عليها (فلان) وهذه متناقضة لمنهجه المزعوم، حيث وصل إلى ما يعتقد عن طريق تصديق الخبر وليس عن طريق الحس! إذن لِمَ يعيب الملاحدة على أهل الإيمان قبول أخبار الغيب التي تتحدث عن المحسوسات أيضًا؟! فإذا كانت هذه أخبارًا وتلك أخبار، فأخبار الرسل أولى بالقبول لقيام البراهين القطعية على صدقها.

إن المنهج الإلحادي منهج متناقض يكذب بالشيء ويصدق نظيره، فهو على سبيل المثال يكذب أن الله خلق آدم عليه السلام من طين ثم تناسل البشر بعده؛ لأنه عندهم غيب غير محسوس، وفي مقابل هذا يصدق بأن أصل الإنسان خلية وُجدت قبل ملايين السنين ثم تطورت من خلال الانتخاب الطبيعي مع أن هذا غيب بالنسبة له أيضًا لكنه مقبول عنده لأن مصدره إلحادي وذاك مردود؛ لأن مصدره وحي قرآني فالمنهج الإلحادي إذن منهج متناقض ليس له حاكم إلا الهوى.

ثانيًا: «نظرية الشك»

وهي نظرية تتفق تمامًا مع تكوين وشخصية الملحد؛ لأن الملحد عبارة عن تكوين مركب من الشك ومن التشتت الفكري والشك لحمة الإلحاد وسداه، ولعل أصدق وصف لفكر الملحد وعواطفه ما جاء في تلك القصيدة التي ذاع صيتها وهي في حقيقتها تصف حال ملحد ضائع تائه يقول:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت أمامي طريقًا فمشيت

وسأبقى سائرًا فيه إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟!.. لست أدري

ويتساءل أيضًا:

أتراني قبلما أصبحت إنسانًا سويًّا

كنت محوًا أو محالًا أم تراني كنت شيئًا

ألهذا اللغز حل..؟ أم سيبقى أبديًّا؟

لست أدري... ولماذا لست أدري؟ لست أدري

- وهذه القاعدة، قاعدة الشك أو التشكيك هي عماد الإلحاد، وهي التي يسعى الملاحدة جهدهم إلى غرسها في النفوس الناشئة التي هي أسهل أن تنقاد لهم.

• وهذه القاعدة الأثيرة عندهم أصَّلها لهم الفيلسوف (أرسطو) وغيره من فلاسفة اليونان القدماء الذين ظهروا قبل الميلاد حيث يقول أرسطو:

«من أراد أن يشرع في المعارف الإلهية فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء ثم يتكيف بعقله وخياله ورأيه».

ثم جاء الملاحدة المعاصرون بقانون النسبية الذي يقول في فلسفته: «ليس عند القوم حقيقة مطلقة».

• ومع قاعدة الشك ونسبية الحقيقة صال رءوس الإلحاد وجالوا في محاولات عديدة ومتواصلة للإيقاع بالشباب العربي المؤمن.

• والعجيب في أمر هؤلاء أنهم أكذب الناس وأكثرهم معارضة حتى لقانون الشك الذي وضعوه؛ لأنهم متمسكون غاية التمسك بما عليه أئمة الإلحاد

وما عليهم من نظريات الإلحاد يتعصبون لها غاية التعصب ولا يخرجون عنها قيد أنملة ولا يشكون فيها ولو للحظة، فأين قاعدة ونظرية الشك هذه لديهم؟!

ومهما يكن من شيء، فنهج الشك منهج صارم ومصدم للعقل السوي ومطالبة من وصل إلى يقين أن يشك لأجل أن يتيقن بعد ذلك شيء منافٍ للعقل السوي، إنما هي بمثابة أن يقال لإنسان عاقل: اشرب هذا السم لتجرب الترياق بعده، وهل يفعل ذلك أي عاقل سوي.

أقول ذلك لأن الملاحدة بينهم علماء وعقلاء وحكماء، ولكنهم ليسوا أسوياء! إنهم مرضى نفسيين، نعم الملاحدة كلهم بلا استثناء مرضى نفسيين؛ لأنه ثبت أن الإلحاد مرض نفسي يحتاج لعلاج نفسي قبل العلاج الإيماني.

أما دعوى نسبية الحقيقة التي قال بها بعض الملاحدة، فأظهر في الفساد والبطلان، إذ يمكن أن نسقطها على نفسها ابتداء وبالتالي سوف تنسف من أساسها.

أقول هذه القاعدة التي يتبناها الملاحدة وهي نظرية النسبية لو أخذنا بها لفسدت الدنيا بما فيها؛ لأنه يمكن بمقتضاها أن يعتدي إنسان على غيره، وإذا قيل له إنك أخطأت فسيقول - بناءً على هذه القاعدة -: ما رأيتموه أنتم خطأ، لا أراه أنا خطأ، فالحقيقة نسبيته هذه فإنه سيقول ما ترونه أنتم ضررًا لا أراه أنا ضررًا! فأي عبث بعد هذا العبث نرى؟! وأي فساد بعد هذا الفساد يدعون؟!

ومما سبق يمكن القول أيضًا أن الإلحاد أعظم معول لهدم العلوم والمعارف، وأن الإلحاد خير مروج للإباحية والفوضى العارمة التي لا يبقى وراءها مانع علمي ولا خلقي، فلا إله يدعي لأمره ولا رقيب ولا حسيب ولا جزاء.

وهذا المنهج الإلحادي لم ينتج في الخارج في أوروبا ذاتها منبع الإلحاد لم ينتج أي سكينة ولا طمأنينة ولا سعادة في المجتمع الأوروبي ويدل على ذلك الإحصائيات العالمية التي تتحدث عن نسبة طردية بين الإلحاد والانتحار، وبحسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠١٧م فإن قائمة الدول التي يكثر فيها الانتحار على النحو التالي: اليابان، ثم كوريا، ثم فنلندا، ثم فرنسا، ثم الدنمارك، ثم السويد...، وهكذا، ويلاحظ أن هذه الدول لا ينقصها تقدم تقني ولا رفاهية في العيش.

وهكذا تسقط نظرية الشك هذه وما يلحق بها من نظريات مثل نظرية النسبية، فكلاهما نظريات غير واقعية لا يمكن الاعتداد بها لفسادها العقلي والمنطقي.

ثالثًا نظرية: (القدر)

وتسمى بفكرة الشر أو نظرية الشر.

يزعم أصحاب هذه النظرية أن حدوث الشر والقتل والخراب في العالم دليل على انتفاء وجود رب كريم رحيم عادل؛ لأنه في زعمهم لو كان موجودًا فعلًا لمنع حدوث ذلك الشر وذاك الخراب، كما يزعمون أنه يقع في الكون أشياء متناقضة لا تتوافق والعقل عليه، فالكون عبثي ليس له مدبر.

وبالطبع هذا التفكير راجع إلى جهلهم أو تجاهلهم لأصل إثبات الحكمة في أفعال الخالق وتقديره، وأن وقوع المصائب والمحن في هذه الحياة راجعًا إلى قاعدة الابتلاء، فالخالق جل جلاله يبتلي بالمحن ويصلح ويهذب ويثيب، ولكن هؤلاء الملاحدة مجادلتهم النفسية المضطربة عموا عن هذا، وعموا أيضًا علميًا وفكريًا.

رابعًا: نظرية (المغالطات العقلية والتلبيسات):

إنها أساليب الملاحدة من قديم الزمن وخاصة الصهاينة من الملاحدة، فإن قلنا لهم: إن كل حادث لا بد له من محدث، وإن كل ما وجد من عدم فلا بد له من محدث وخالق، فإن الملحد يسأل بغباء، قائلًا: إذا سلمنا بأن الله هو الذي خلق كل شيء فمن خلق الله؟!

وهذا السؤال فاسد؛ لأن الملحد إذا سلم بأن الله خالق فكيف يسأل هذا السؤال ويجعله مخلوقًا؟ فالخالق لا يمكن أن يكون مخلوقًا، كما هو حال المخلوق لا يمكن أن يكون خالقًا.

والخلاصة أن من أساليب الملاحدة، ومناهجهم في التقرير والمناقشة اعتماد أسلوب المغالطة الجدلية والتلبيس على المحاور، وهم في هذا لا يحترمون المنهج العلمي السليم في المناظرة، وهكذا حال الملحد المضطرب نفسيًا؛ إنه يعزز كل قدراته الفكرية والعلمية للدفاع عن فكرة الإلحاد الذي يعتبره جزءًا لا يتجزأ من نفسه التي يدافع عن وجودها وكيانها، فهذا هو ما يمليه عليه اضطرابه النفسي المضطرب.

مرتكزات الفكر الإلحادي

الله سبحانه وتعالى هو الدليل بنفسه على نفسه

في البداية لا بد من الإشارة إلى أنه ليس للفكر الإلحادي نظرية واحدة متكاملة تفسر ما ذهب إليه هؤلاء من فكر شاذ ولكن يقدم الملاحدة للناس مجموعة من الظنون والافتراضات التي لا تقنع عقلًا ولا تشفي غليلًا، وقد حاول الملاحدة أن يدعموا فكرهم بنظرية علمية من هنا وأخرى فلسفية من هناك، وحاولوا أن يجمعوا ما بين هذه وتلك، فخرجوا من هذا التلفيق بمنهج هجين مشوه غير مقنع.

ومن خلال تتبعنا لمرتكزات الفكر الإلحادي وجدنا أن ما يقيم عليه الملاحدة منهجهم يرجع إلى مرتكزين، وهما:

أولًا: النظرية العلمية التجريدية التي تتناسب مع فكرهم.

ثانيًا: النظريات الفكرية الفلسفية التي تتناسب مع فكرهم أيضًا.

أولًا: النظريات العلمية التجريدية:

وبالنظر إلى النظريات العلمية التجريدية التي تم اختيارها من جانبهم هي بالاستقراء نوعان:

الأول: نظريات علمية غير صحيحة ثبت عدم صحة محتواها بعد أن ملأت الدنيا ضجيجًا، وهذه النظريات بدأت تخبو لتحل محلها نظريات تتفق والحقائق الإيمانية الدينية، فالواقع يشهد أن النظريات العلمية الحديثة تبتعد تمامًا عن الإلحاد وتقترب من الإيمان.

الثاني: نظريات حديثة ولكنها لا تعدو بعيدًا عن تلبيساتهم، ومنشأ خلل هؤلاء الملاحدة هو أنهم لم ينفذوا من الأسباب إلى مسببها ومن المخلوقات

إلى خالقها.

ومن أهم هذه النظريات ما يلي:

نظرية داروين:

وهي النظرية التي وضعها في كتابه المسمى (أصل الأنواع)، وهذا الكتاب أصبح اللبنة الأساسية لنظرية التطور الإلحادية.

وقد أقام (داروين) نظريته على أساس أن الأحياء لم يخلق كل واحد منها خلقًا مستقلًّا، بل كان لها أصل واحد هو الخلية البسيطة التي أخذت تتطور وترتقي من طور إلى طور حتى نشأ الإنسان، وهذا ما عبر عنه بمصطلح الانتخاب الطبيعي أو (بقاء الأصلح).

وتجمع نظرية داروين في ثناياها كبار ملاحدة العالم الذين يرون أن الإنسان لا خالق له، وأنه وليد ملايين السنوات من التطور الطبيعي والنشوء والارتقاء بين الأنواع المختلفة.

وقد اهتم الملاحدة كثيرًا بهذه النظرية لأنها في نظرهم هي النظرية الوحيدة التي يمكن بها تفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى خالق، والحقيقة والواقع يؤكدان أنها نظرية هشة ضعيفة غير متماسكة، ولذا فقد اضمحلت وضعفت كثيرًا في عصرنا الحاضر.

ويمكن تلخيص أهم أوجه بطلان هذه النظرية من خلال العلماء والباحثين في النقاط الآتية:

أ - إنها نظرية قاصرة؛ فهي لم تفسر جميع مظاهر الحياة في هذا الكون، فهي مثلًا لا تقدم تفسيرًا لأصل نشأة الحشرات مع إنها تمثل ٨٠٪ من مجموع الحيوانات، فهل تطورت تلك الحشرات أم بقيت على ما هي عليه ولم يجرِ عليها قانون التطور؟ كما أنها لم تقدم تفسيرًا للطيور، وهل ما يطير

من الحيوانات قد تطور؟ وماذا كان أصل هذا التطور؟ إلى جانب أشياء أخرى ترجع إلى الأحياء تم إهمالها في هذه النظرية فما قيمة نظرية لا تقوم بتفسير ٩٠٪ من الظواهر التي من المفترض أن تتناولها؟

ب - عجز أرباب هذه النظرية وأنصارها عن بيان كيفية انتقال الحياة من جماد إلى كائنات حية، فإذا سألتهم كيف وجدت الحياة فجأة من خلية جامدة إلى أنفس حية لها إحساس وعقل؟ قد يجيبك الملحد - وتجيب أيضًا هذه النظرية -: بأن هذا التطور إنما حدث فجأة! وكلمة (فجأة) لا تعطي إجابة بالطبع، ولا يخفى أن (فجأة) ليست جوابًا علميًّا، بل هو جواب يصادم العلم تمامًا.

ج - إنه عند التأمل فيما اعتمدت عليه هذه النظرية نجد أنها تنطلق من وجود تشابه بين الأحياء، ولذا قرر (داروين) أن أصل الإنسان قرد بسبب هذا الأمر، ومما تزعمه هذه النظرية أيضًا أن وجود الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان يدل على وجود تشابه بينهما، وهنا نسأل أرباب هذه النظرية، لماذا لا يكون الإنسان متطورًا من فأر وليس قرد لأنهما يشتركان في كثير من الأمراض مثل السرطان؟! وبالطبع لا جواب عند هؤلاء.

ومن خرافات هذه النظرية أيضًا الزعم بأن الأعضاء غير المستعملة تضمر بمرور الزمن، وتنتقل ضامرة إلى الأجيال القادمة أما التي تستعمل فتقوى وتتطور، ولذا يقولون إن عنق الزرافة طويلة لأنها محتاجة إلى أن تأكل من الأشجار فتمد عنقها، ثم تطور الأمر شيئًا فشيئًا حتى أصبح العنق طويلًا، والسؤال الوارد هنا هو: لماذا لم يطل عنق الماعز مع أنها محتاجة كذلك إلى أكل أوراق الأشجار وهي تمد عنقها أيضًا إلى الأشجار منذ آلاف السنين؟ وبالطبع لا جواب عند الملاحدة.

كما يذكر (داروين) أيضًا أن أسلافنا كانوا ذوي شعر كثيف وأنه عندما

تطور وتحول هذا الكائن إلى إنسان سَوِيٍّ سقط كثير من شعره لعدم استعماله أو الحاجة إليه، لكنه عندما جاء ليفسر عدم وجود الشعر عند النساء كما هو عند الرجال اعتذر بعذر عجيب، حيث زعم أن هذا ضروري لجمال المرأة وجاذبيتها، وهذا الجواب من الممكن أن يُقنع به لو كان النظر للموضوع يصاحبه اعتقاد بوجود خالق عظيم، ولكن هذا لا يقر به الملاحدة.

وأيضًا حاول (داروين) أن يفسر وجود الشعر في منطقة الرأس من الإنسان وعدم تساقطه مع بقية شعر الجسم الذي يسقط في زعمه فيقول: بما أن الرأس معرض كثيرًا للضربات فقد كان من الضروري أن يبقى الشعر عليه.

يا للعجب فماذا عن الجبين والأنف وهما يتعرضان لصدمات أكثر وماذا عن وجود الشعر في بعض المناطق الداخلية في الجسم، هل كان وجوده لهذا السبب أيضًا. وباختصار نظرية داروين نظرية هشة ومتداعية.

نظرية الانفجار العظيم:

وهي النظرية الثانية التي يأخذ بها أصحاب الفكر الإلحادي، وخلاصة هذه النظرية تقول: إن أصل الخلق كان (كرية) بسيطة ذات خلية واحدة وهي صغيرة كرأس الدبوس، وكانت تسبح في اللازمان واللامكان، ثم انفجرت فجأة قبل ١٥ مليار سنة، فنتج عن هذا الانفجار تكوُّن هذا الكون بالتدريج، فأصل هذا الكون كله كما تقول النظرية (كرُية في حجم رأس الدبوس)، وهذه النظرية ستبقى سوطًا ووصمة عار في جبين الملاحدة، من أين جاءت تلك الكُرية التي تشبه رأس الدبوس هذه؟ وهو السؤال الذي لم يجب عليه هؤلاء الملاحدة ولن يجيبوا، وسؤال آخر: لماذا كانت هذه الكرية ساكنة ثم قررت فجأة أن تنفجر؟ وسؤال ثالث: ما ميزة هذه اللحظة التي انفجرت فيها تلك (الكُرية) بالذات عن غيرها من اللحظات؟ وسؤال رابع:

كيف ينتج انفجارٌ نظامًا كونيًّا بديعًا؟ وسؤال خامس: كيف أنتجت نقطة من مادة جامدة حياة وعقلًا ومشاعر؟ قد يجيب الملاحدة قائلين بأن ذلك حدث بفعل تفاعلات أنتجت خلايا اجتمعت فتكونت بعد الانفجار بهذا النظام البديع في كل شيء.

وإذا سئلوا كيف حدث هذا الاجتماع للخلايا؟ وكيف وجدت الحياة من الجماد؟

أجاب الملحد في بلادة: حدث هذا تلقائيًّا وصدفة، وهكذا حال الملاحدة كل الظواهر تعلق عندهم إلى الصدفة، الصدفة لديهم أوجدت السماء وأوجدت الغلاف الجوي، وأوجدت الضغط الجوي وأوجدت الغازات وأوجدت السحب والأرض والأنهار والبحار والأسماك والإنسان، وأوجدت أعضاء مناسبة لاحتياجات الإنسان من سمع وبصر وقلب يدق وكريات دم حمراء وبيضاء بأعضاء مناسبة، وفوق هذا وذاك وجد العقل والأحاسيس كل هذا حدث عند الملاحدة صدفة.

ولا يشك عاقل في أن قانون الصدفة باطل ولا يجيب عن أي أسئلة، والعقلاء جميعًا متفقون على أن الصدفة لا تنتج نظامًا على الإطلاق.

الوسائل المعاصرة لنشر الإلحاد

(الإنترنت - القصص والروايات)

يحرص الملاحدة على نشر إلحادهم على كل وسائل النشر والإعلام المعاصرة وأحدثها مثل الإنترنت والمواقع الإباحية وغيرها وهم يعملون كل ما في جهدهم وكما يقال على قدم وساق... ليل نهار... وعلينا في البداية أن نبحث أولًا لماذا أصبح الملاحدة اليوم نشيطين جدًّا بين أبناء عالمنا العربي والإسلامي؟

يمكن أن نوجز أسباب نشاط الملاحدة المحموم بين أبناء وشباب العالم العربي والإسلامي في النقاط الآتية:

اولًا: إن الملحد في العالم العربي والإسلامي يشعر بالغربة لأن معظم الشباب في عالمنا العربي والإسلامي مؤمن بحمد الله وفضله، لذا نجد الملحد يريد أن يكثر من عدد الداخلين في هذا الفكر المتخلف، وذلك حتى تخف عنه هذه الغربة وهكذا الشأن في كل ذي أمر قبيح وكل آفة تريد أن تنخر في جسد هذه الأمة المؤمنة، فإن الملحد يتمنى أن يصير الناس كلهم مثله حتى يذهب عنه بعض ما يجد من اغتراب وعدم التقدير أو الاحترام وهو ينطبق عليه ما ينطبق على الزانية التي قيل فيها: (ودت الزانية أن النساء كلهن زوان).

ثانيًا: كان ولا زال نشاط الملاحدة المحموم في عالمنا العربي والإسلامي لأنهم يرون أنه إذا كثر الملاحدة وعلا صوتهم، أصبحوا قوة مؤثرة في المجتمع تستطيع أن تؤثر في الواقع بحسب أهوائهم، وأغلب الملاحدة المعاصرين هم في الواقع من ذوي الإلحاد النفعي المادي فلا يروجون إلا للشهوات.

ثالثًا: في نشاط الملحد المحموم لنشر فكر الإلحاد نجد رغبة الملحد

في ذلك يجعله يطمئن نفسه، والملحد بحكم شخصيته المريضة نفسيًّا شخصية قلقة شكاكة وإن كابر في ذلك، فإذا وجد نفسه قد نجح في ترويج فكره ورأى الواحد تلو الآخر ينضم إلى فكره الإلحادي سكنت نفسه بعض الشيء.

وسائل الملاحدة لنشر الإلحاد

يمكن إيجاز وسائل الملاحدة في نشر الإلحاد فيما يلي:

الكتب الإلحادية والمجلات والصحف:

دخل الملاحدة مجال النشر والإعلام وأصبحوا أصحاب دور نشر ينشرون الكتب، وأيضًا أصبح بعضهم من أصحاب الصحف والمجلات والمؤسسات الإعلامية ولا يلزم أن تكون أدواتهم هذه تدعو للإلحاد بصورة مباشرة أو صريحة إذ يكفي – وهو ما تفعله اليوم – أن تطرح ثقافة الشك أو تدعو إلى تأصيلات تؤدي إلى إضعاف الثقة بالنصوص الدينية أو أن تعمل على تبغيض الدين في نفس القارئ وتصويره في صورة القيود والأغلال، وبهذا يُلقي الملاحدة بفريستهم إلى ساحل الإلحاد، والحقيقة أن هؤلاء يحاولون الوصول إلى بغيتهم عن طريق الخطوات خطوة خطوة.

القنوات الفضائية:

وذلك من خلال عرض مفاهيم إلحادية واضحة أو مبطنة عن طريق برامج أو حوارات أو مناظرات أو الأفلام للكبار والصغار وما إلى ذلك، بل يمكن أن يكون ذلك من خلال البرامج العلمية الوثائقية التي تؤصل للنظريات الداعمة للإلحاد كنظرية (داروين مثلًا) وهذا ما تقوم به بعض القنوات الوثائقية المشهورة في يومنا هذا.

اللقاءات المباشرة مع الشباب:

يتم ذلك عن طريق جلسات خاصة في النوادي أو الملتقيات العامة أو من خلال ندوات تثقيفية أو حتى عن طريق الرحلات والليالي الثقافية والترفيهية من أجل طرح هذه الأفكار والشبهات بطرق غير مباشرة.

الوسائل العصرية الخطرة لنشر الإلحاد

يمكن إيجاز الوسائل العصرية الخطرة لنشر الإلحاد فيما يلي:

الشبكة العالمية للتواصل (الإنترنت)

ولسنا جميعا بحاجة إلى التنبية على خطورة انتشار هذه الوسيلة وما تنطوي عليه من مخاطر، فأشكال التواصل الإلكتروني الحديثة أصبحت فضاءً واسعًا عصيًّا على المتابعة والمراقبة وتوظيفها في نشر وسائل الإلحاد له وسائل كثيرة منها:

أ - شبكات التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك، والماسنجر، وتويتر، وجوجل وغيرها، والواقع ينصح بجلاء عن أنها اليوم هي الموجة الثقافية بالغة التأثير فمن الناس من يجلس ساعات طوال اليوم أمام تلك الوسائل فهي جاذبة للشباب إلى حد بعيد والملاحدة ينفذون ذلك بكل دقة على الشباب والشابات عن طريق موضوعات جاذبة يطرحونها وهذا الطرح يكون صريحًا تارة ورمزيًّا تارة أخرى، فينقلون نظرياتهم السقيمة مغلفة بزخرف القول أو يمجدون أساطين الإلحاد ونتاجهم الفكري أو يبثون شُبهًا عابرة ماكرة، أو يستهزئون بأحكام شرعية يشككون في مسلمات دينية أو يضيعون الثقة بأهل العلم والعلماء أو يفصلون الجمل والمفاهيم الممهدة لفكرهم، نحو التذمر من الوصاية على العقول ومن هيمنة السواتر الحديدية عليها، هذا بخلاف الدعوة إلى الانفتاح والانطلاق غير المقيد بقيود، ونحو هذه التأصيلات القادحة في الأديان.

ب - مواقع تبادل ونشر المقاطع المرئية وأشهرها اليوتيوب:

وتعتبر مواقع تبادل ونشر المقاطع المرئية وأشهرها اليوتيوب من أخطر وسائل الملاحدة لنشر الإلحاد والإباحية والفسق، وللأسف فإن الملاحدة يبثون ليل نهار المقاطع التي تؤصل للإلحاد أو تقرب منه، ومن مكرهم أنهم يجعلون لها عناوين جذابة وكلمات شهيرة متداولة مثل أخبار الفنانين، بالطبع ليست الأخبار الفنية ولكنها أخبار شخصية مثيرة مثل الزواج والطلاق والعلاقات الخاصة وقضايا الآداب وما شابه ذلك إلى جانب - بالطبع -الأفلام الإباحية الجنسية المثيرة، فإذا ما لاحت أمام الشباب والشابات تلك السموم المرئية دفعهم حب الاستطلاع إلى مشاهدتها فتتعلق بها قلوبهم.

جـ - المنتديات العامة:

فالملاحدة يمدون شباكهم إلى كل المنتديات العامة على اختلاف أنواعها وأشكالها وهي المنتديات الدينية والمنتديات الرياضية والمنتديات ذات الحضور الكبير فيضربون بذلك عصفورين بحجر - كما يقال، بث الشك أولًا عن طريق فكرهم ثم اقتناص فريستهم من خلال مراحل التفرس الاختيار - التأنس - الصدفة، ثم التشكيك وأخيرًا التأسيس لفكرهم فإذا ما وجدوا من المشاركين في تلك المنتديات من الذكور أو الإناث من يتوسمون فيه أنه سلس القيادة لهم كأن يروا فيه ميلًا إلى التحرر أو الانفتاح مثلًا، أو نفورًا من العادات والتقاليد أو حنقًا على أهل الحسبة مثلًا فإنهم يحرصون على أن يعلقوا بعبارات المدح على أي مشاركة له، وبالتالي تمتد بينه وبينهم جسور العلاقة عبر النت، ثم تتطور شيئًا فشيئًا ثم التواصل عبر البريد الإلكتروني الخاص ثم المحادثات المباشرة (الشات) ثم إدخاله إلى مجموعة بريدية فتصله المقالات والكتب ووصلات المواقع والمدونات التي يلزم أن تكون صريحة المحتوى الإلحادي في ابتداء الأمر، وهكذا يتطور الأمر حتى يصبح هؤلاء الشباب والشابات صيدًا سهلًا في أيديهم فيقعون في مستنقع الإلحاد الرهيب.

ثانيًا غزو الروايات الخيالية والجنسية:

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة مئات دور النشر في العالم العربي والإسلامي وهذه الدور حديثة وأصحابها لم يكونوا يعملون في مجال النشر والإعلام من قبل والغريب أنهم تخصصوا في نشر الروايات... نعم الروايات فقط وبفحص تلك الروايات تبين أنهم جذبوا شباب وشابات من المراهقين والمراهقات لكتابتها هم ليسوا أهل خبرة أو معرفة بأصول فن كتابة الرواية ولكن كان المهم هو نشر ذلك المحتوى الجنسي والخيالى بين الشباب والشابات بأموال الملاحدة التي تأتي إليهم من المنظمات الماسونية أو الصهونية لنشر الثقافة الإلحادية بالطبع، لقد ثبت أن الروايات المنحرفة عقديًّا معول لهدم العقيدة ومركب ذلول موصل إلى الإلحاد، وذلك أن الروايات تلك ما هي إلا قصص والنفوس مجبولة على حب القصص ولا سيما وأن كثيرًا منها يضرب على وتر العاطفة أو العشق أو إثارة الغريزة، وهذا النوع مما يميل إليه كثير من الفتيات والشباب الذين لا يخفى تهافتهم الكبير على اقتناء الروايات وهذا النوع من الروايات أصبح المدخل الحقيقي لبداية ترويج الفكر الإلحادي وغالبًا ما ينفذ الملاحدة من خلال هذه الروايات إلى أفكارهم بالتشكيك في القضاء والقدر والخالق وأحكامه أو ما يطلقون عليه اسم العبثية الكونية التي من نتيجتها جحد وجود الخالق رب الكون، يبقى أن نقول لكل ناشر: الرواية رسالة موجهة لكنها في قالب قصص فهذه الروايات ومثلها المقالات وغيرها لا يلزم بالضرورة أن تقدم الإلحاد في صورة صريحة فهذا التصور من السذاجة بمكان، نعم قد تكون النزعة الإلحادية ظاهرة، وقد تكون غير ظاهرة ولكنها داعمة للإلحاد لا بوجه صريح وبالتالي هذا الصنف من الروايات يلقي بالمتلقي إلى باب الإلحاد أو يقرب المسافة إليه فلا تشجعوا هذا النوع من الروايات حتى لو كان الشاب أو الشابة على استعداد لنشر تلك الرواية على حسابه الشخصي، فلا تمدوا

له يدًا ولا تشجعوه ولا تنشروًا مثل تلك الروايات حتى لو كانت ستدر عليكم أموالًا طائلة فهي مال حرام نظير الترويج للفكر الإلحادي والعياذ بالله.

أشهر المدارس الإلحادية المعاصرة:

عندما يقرر شخص ما أن يُلحد وينكر وجود خالقه فهو في هذه اللحظة بالذات يكون قد تخلى عن إنسانيته وسموه.

تعددت المدارس الإلحادية وتنوعت وتباينت وليس هناك مدرسة إلحادية واحدة تجمع تحت لوائها كل الملاحدة ولكن هناك اتجاهان رئيسيان يحددان الإلحاد فكريًا:

١ - الاتجاه العلمي التجريبي.

٢ - الاتجاه الفكري الفلسفي.

وعن هذا وتلك نشأت عدة مدارس فكرية تستلهم من الإلحاد مادتها بصور وطرق مختلفة ويمكن إيجاز تلك المدارس فيما يلي:

أ - العلمانية:

وهي تعني اللاديني وتعني بناء المجتمع على أسس مادية لا علاقة لها بالدين.

ب - الوجودية:

وهي المدرسة التي نادى بها «سارتر» وغيره وهي التي تدعو إلى إبراز قيمة الفرد وحريته وقدرته على أن يفعل ما يريد.

جـ - الوضعية:

وهي المدرسة التي نادى بها «أوجست كونت» وأترابه، وهي فلسفة تنكر أي معرفة تتجاوز التجربة الحسية.

د - الشيوعية:

وهي المدرسة التي أسسها «كارل ماركس» وهي التي تنكر وجود إله، وأن الحياة مادة، وأن الدين أفيون الشعوب.

هـ - الداروينية:

والتي أسسها عالم الأحياء» داروين» صاحب نظرية النشوء والارتقاء، والتي تنفي أسس الأديان السماوية الثلاث.

و - مدارس عبدة الشيطان:

وهي مدرسة وثنية في طقوسها صهيونية وماسونية المنشأ والأصل، وهي حركة إلحادية في فلسفتها ليس لها هدف في الحياة إلا التمرد واللذة.

وهناك تقسيم آخر للباحثين في الإلحاد يعمل على تقسيم الإلحاد بحسب الدافع إليه ويجعله ثلاثة أقسام:

الأول: الإلحاد العاطفي:

وهو الإلحاد الذي دافعه الاستشكال للقدر.

الثاني: الإلحاد المادي النفعي.

وهو الذي دافعه الرغبة الجامحة في اللذات والوقوع في الشهوات دون قيود.

الثالث: الإلحاد العقلي العلمي.

وهو الذي دافعه ما يُزعم من نظريات فلسفية وعلمية.

وسواء كانت هذه التقسيمات حاصرة أو غير حاصرة فإن الوصف المشترك الجامع لكل هذه التشعبات الإلحادية هي عدم الإيمان بالخالق، فإن تصنيفات وتنوعات الإلحاد واسعة ومتشعبة إلا أن هدفها جميعها

واحد وهو الترويج للإلحاد وإنكار وجود الخالق وبالتالي إنكار وجود حساب عن الأخطاء والمعاصي من إباحية وجنس وغيرها.

ويبقى القول أن هؤلاء الملاحدة على اختلاف مدارسهم وعقلياتهم ليسوا في حالة اتزان نفسي على الإطلاق بل يعانون من اضطراب نفسي له أسبابه وجذوره.

الإلحاد مشكلة نفسية

الإلحاد ليس حلًّا بل هو اعتراف بالفشل في إيجاد حل

نعم الإلحاد مشكلة نفسية وإن كان سببها عوامل مختلفة أدت إلى حدوث تلك المشكلة في النهاية، وعندما أصدر «بول فيتز» أستاذ علم النفس الأمريكي الشهير كتابه «علم نفس الإلحاد» أثار ذلك عددًا كبيرًا من علماء النفس، واعتبروا الكتاب غير مقبول بل ومزعج! فمنذ تأسس علم النفس منذ حوالي قرن من الزمان وهو يركز على الاتجاه المعاكس، وهو «علم النفس الإيماني «فآباء هذا العلم كانوا يعتبرون أن الإيمان بالإله هو الذي يحتاج إلى تفسير.

فعلى سبيل المثال كان الفيلسوف الأمريكي «ويليام جيمس» شكاكًا وإن كان متعاطفًا مع الديانات، وكانت كتاباته تحاول إرجاع الإيمان لعوامل نفسية.

أما «فرويدFreud » فقد كان معاديًا للديانات خاصة المسيحية، وكان دائمًا يبحث عن تفسيرات نفسية تبرر الإيمان بها.

نتيجة لهذه النشأة لعلم النفس ونظرة مؤسسيه للدين، كان طبيعيًّا أن يدق رجال علم النفس المعاصرة جرس الإنذار في مواجهة أي دراسة حول علم نفس الإلحاد.

وفي مواجهة ذلك دعا عالم النفس الكبير «بول فيتز» علماء النفس ليبدأوا في تأمل خبراتهم الشخصية وأن يضعوها تحت ميكروسكوب البحث ليراجعوا أنفسهم ويخرجوا من دراساتهم بنظريات علمية جديدة.

ولا شك أن المفاهيم النفسية التي استخدمت في النظر إلى الديانات سلاح ذو حدين، إذ يمكن استخدامها كذلك في النظر إلى الإلحاد وما

أشبهها بالكهرباء! التي تستخدم لتشغيل أجهزة التدفئة وأجهزة التبريد في نفس الوقت.

والحقيقة التي لا ريب فيها قبل الخوض في مناقشة الخطوط العريضة لعلم نفس الإلحاد، أن أطرح القناعة النهائية لتلك القضية (قضية الإلحاد)، وتتركز هذه القناعة في مفهومين أساسيين:

أولًا: أن العوائق الرئيسية أمام الإيمان بالإله ليست موضوعية (علمية أو منطقية) في معظم الأحيان لكنها ذاتية (نفسية - شخصية - اجتماعية) في المقام الأول ومهما قدم المعارضون للإيمان من أسباب علمية ومنطقية لإلحادهم، فهي ليست إلا قناعًا تختفي وراءه دوافعهم الذاتية الواعية وغير الواعية.

ويؤكد «بول فيتز» هذا المعنى بقوله: (يقيني العلمي أن وراء كل ملحد وما يقدمه من أسباب علمية أو منطقية لإلحاده العديد من العوامل النفسية والشخصية والاجتماعية).

ولا شك أن الناس يتباينون في مدى فاعلية هذه العوامل الذاتية، فقد يكون بعضنا محظوظين إذ نشأوا في أسرة ومجتمع جعلا إيمانهم بالإله أمرًا يسيرًا وفي المقابل هناك آخرون عانوا ظروفًا فقيرة روحيًّا ونفسيًّا صعبت عليهم طريق الإيمان وهذه الملاحظة تظهر أهمية المفهوم الثاني.

ثانيًا: بالرغم من العوامل الذاتية (النفسية - الشخصية - الاجتماعية) لقبول أو رفض الإيمان فإن الإنسان يتمتع «بالإرادة الحرة» و «القدرة على الاختيار» في أن يصير مؤمنًا أو ملحدًا، لذلك نجد أن بعض الأشخاص تبنوا توجهًا دينيًّا يخالف ظروف نشأتهم وبالتالي فإن الإنسان يملك القدرة على أن يخطو خطوته نحو الإله في أي وقت.

وإذا كنا نقرأ كثيرًا في المراجع المتخصصة مصطلح «الدوافع النفسية

والشخصية والاجتماعية» لتبني الإلحاد، فإن من الأمور الشائكة على المستويين العقلي والعلمي التفرقة بدقة بين هذه الدوافع الثلاثة عند دراسة أية ظاهرة.

فالمتخصصون يحدثوننا عن ظروف النشأة المبكرة للطفل كأهم العوامل النفسية لتبني الإلحاد، ثم يحدثوننا عن الشبق الجنسي - مثلًا- كعامل شخصي وقد تأتي بعده طبيعة المفاهيم السائدة في المجتمع كأحد العوامل الاجتماعية (المجتمعية) لهذه الظاهرة، وفي الحقيقة فإن ظروف النشأة المبكرة كعامل نفسي تؤثر في العوامل الشخصية وتحكمها العوامل الاجتماعية، وبالمثل تتأثر العوامل الاجتماعية بالعوامل النفسية والشخصية، إذن فالعوامل النفسية والعوامل الشخصية للإلحاد وجدنا أن بينهما خطًّا مزدوجًا يجمع بين السن والوعي.

فما يؤثر في توجهاتنا في السنوات الأولى من التنشئة يقع في إطار العوامل النفسية، وما يؤثر بعد ذلك يمكن ضمه إلى العوامل الشخصية. ويترتب على هذا الخط السني مدى وعينا بالعامل المؤثر إنما يقع في السنوات الأولى من أعمارنا يختفي عادة من الوعي ويسقط في هوة اللاوعي، بعد أن يترك أثره الذي لا ينمحي في بنيتنا النفسية وما يؤثر فينا بعد ذلك يمكن طرحه مع الشخص للتحليل والمناقشة حيث يكون موجودًا في دائرة وعيه، ومن ثم يعتبر من العوامل الشخصية.

ما أشبه العلاقة بين العوامل النفسية والشخصية بدراستنا للغة العربية فقد تعلمنا حروف الهجاء والكلمات في فصول الحضانة والمرحلة الابتدائية وبالرغم من أننا أصبحنا قادرين على القراءة والكتابة فإننا قد نسينا المواقف التي كانت مدرستنا تعلمنا فيها، أي أننا قد نسينا الحصة واستوعبنا الدرس. ثم تتابع بعد ذلك دروس علوم اللغة العربية المختلفة في مراحل وحصص

ما زلنا نتذكرها ولا شك أن هذه الدروس تعتمد تمامًا على ما استوعبناه في المراحل المبكرة من حياتنا من حروف الهجاء والكلمات.

أشهر الملاحدة وعقدهم النفسية

١ - فرويد والإلحاد:

نظر فرويد إلى الإيمان بالإله باعتباره «توهم» يسعى لتحقيق رغبات طفولية لا واعية تبحث عن الأمان، وهذا الطرح لفرويد يفتح الباب على مصراعيه لمناقشة الاستعداد النفسي والعصبي لتبني الإلحاد، لقد استدرج فرويد إلى ذلك دون أن يقصد وربما دون أن يدري.

لذلك لا يمكننا أن ننطلق في دراسة النظريات الجديدة في علم النفس والتي تتناول الأسباب النفسية للإلحاد دون أن نتبين في البداية كيف أن نفس الأسس التي انطلق منها فرويد لتفسير الإيمان تقودنا إلى ما يمكن أن نسميه نظرية فرويد لتفسير الإلحاد والتي تدور مثل الإيمان تمامًا حول أن «الإلحاد تحقيق للرغبات الأوروبية».

كذلك إذا كان فرويد قد طرح «نظرية الإسقاط لتفسير الإيمان بالإله «فإنه مهد لطرح «نظرية الإسقاط لتفسير الإلحاد» ومن ثم لا مبرر لغضب الملاحدة عندما نتبنى القول بالأصول النفسية والعصبية للإلحاد ففرويد هو أول من فعلها، لكن في الاتجاه المعاكس

- عقدة أوديب:

كان القول بعقدة أوديب هو المساهمة الجوهرية الثانية لفرويد بعد مفهوم اللاوعي(subcomiousmess) في علم النفس، بغض النظر عن صوابها أو خطأها.

ويتبنى فرويد أن عقدة أوديب تتكون في أثناء مراحل تشكيل شخصية الطفل الذكر على النحو التالي:

تقريبًا في سن الثالثة، تنشأ لدى الطفل رغبة جنسية شديدة تجاه أمه،

تصاحبها كراهية وخوف شديدان من أبيه، ورغبة في الحلول محله تطلعًا إلى السلطة، وترجع هذه المشاعر إلى أن الأب بقوته ومنزلته يقف في طريق تحقيق رغبة الطفل في أمه، ويزداد خوف الطفل من أبيه بسبب توهمه أن أباه قد يخصيه ليتخلص من منافسته.

إن حل العقدة كما يرى فرويد هو تسليم الطفل بمحدودية قدراته وعجزه عن التخلص من أبيه، عندها يتقمص الطفل شخصية أبيه الباطن ويكتب عنصر الرعب الأصيل في العقدة.

ويتم حل العقدة بشكل جزئي تقريبًا عند سن الخامسة.

وتبعًا لفرويد، فإن عقدة أوديب لا يمكن أن تحل تمامًا، لذلك تنشط في فترات لاحقة أهمها دون شك فترة البلوغ، ومن ثم يظل الكُره القاتل والرغبات الجنسية في المحارم مخيم على الأسرة لكنهما يكبتان، وبين فرويد العواقب العصبية لهذا الكبت قائلًا: «إن عقدة أوديب هي جوهر العصاب (Neurosis) اضطراب عصبي وظيفي.

وإذا كانت عقدة أوديب لا تظهر بشكل فرضي في معظم الأحيان، فإنها تعبر عن نفسها في سلوكنا برفض السلطة الأعلى، وكذلك تجد لها منفثًا في الأحلام وسقطات اللسان وبعض سلوكياتنا العابرة غير المنطقية وغير المبررة.

- الإلحاد وعقدة أوديب:

تقدم عقدة أوديب أرضية مثالية لرفض الإله كأحد مظاهر تحقيق الرغبات (Wish fulfillment) فإذا كانت هذه العقدة اللاشعورية تنشأ في الصغار كتعبير عن كراهية الأب والرغبة في أن يختفي بل والرغبة في قتله فإن فرويد ينتقل منها إلى الإله الذي يعتبره المعادل النفسي للأب ومن هنا تنشأ الرغبة القوية في ألا يوجد إله.

ومن ثَم فالإلحاد انطلاقًا من مفاهيم فرويد توهم سببه الرغبة الأوديبية لقتل الأب والحلول محله، ويعتبر فرويد أن ما نراه في أحلامنا من صورة الأب تتلاشى هي تعبير عن رغبتنا في قتله ويعادلها قول نيتشه: «الإله قد مات»، إنه مثال تطبيقي صارخ لتحقيق الرغبات.

وكما تفسر عقدة أوديب الإلحاد والشك، فإنها تفسر السلوك الجنسي للملاحدة والشكاكين فبعضهم يستبيح كل أشكال الجنس كتعويض عن الجنس المحرم مع الأم، ويكون ذلك عادة مصحوبًا بنرجسية صارخة تعوض شبقه للسلطة التي حرمه منها الأب.

كذلك يظهر باقي مكونات عقدة أوديب في الإلحاد المعاصر من خلال استبدال الإنسان بالإله فيصبح الإله هو السوبرمان (نيتشه) ويصبح هو مصدر المفاهيم الأخلاقية وصاحب القوة المطلقة الذي لا يعجزه شيء لذلك تمجد الفلسفات المعروفة بـ الإنسانية (Humanistic Philosophy) الإنسان وقدراته تمامًا مثلما يفعل المتدينون مع الإله.

لقد انحدرنا من الإله الواحد في فجر البشرية إلى تعدد الآلهة، ثم ارتقينا إلى التوحيد المطلق مع الديانات الإبراهيمية، ثم ارتكسنا إلى الإله في كل واحد، إن الملحد يحاول بذلك من خلال شبقه لتحقيق رغباته ومن خلال نرجسيته أن يحقق ما فشل فيه إبليس أن يجلس على عرش الإله.

(٢) فولتير:

يعتبر فيلسوف الاستنارة الفرنسي فولتير مثالًا جيدًا عند فرويد لدوافع أوديب، فقد كان شكاكًا رافضًا لكل ما يتعلق بالدين وخاصة الإله كأب كما تقدمه المسيحية كما كان ناقمًا على السلطة السياسية والاجتماعية للكنيسة الكاثوليكية. كذلك كان فولتير ملحدًا، وإن كان البعض يعتبره ربوبيًّا يقبل الإله غير المتشخص.

وإذا راجعنا سيرة فولتير نجد من أهم ملامحها رفضه لأبيه إذ رفض اسمه الحقيقي وتسمى باسم (Voltaire)الذي لا نعرف مصدره وقد يكون مركبًا من حروف اسم عائلة أمه وقد يرجع موقف فولتير هذا لسببين:

السبب الأول: رغبته في الانتساب لطبقة اجتماعية أعلى فكان يروج أنه ليس ابن أبيه بل ابن نبيل من النبلاء.

السبب الثاني: خلافه الدائم مع أبيه ليضيق الأب من انشغال ابنه بعالم الخطابات (الكتابة) عن عالم المحاماة، لذلك لم يذكره فولتير بشيء طيب على الإطلاق.

وفي عام ١٧١٨ نشر فولتير مسرحية «أوديب» التي كانت أول مسرحياته التي تقدم للجماهير وتمزج المسرحية قصة «أوديب» الحقيقية برفض الديانات واعتبارها توهمات، كما كانت المسرحية أيضًا مليئة بالتمرد السياسي، وبذلك تجتمع في حيرة فولتير عدة عناصر تعكس عقدة أوديب: رفضه أبيه، ورفضه للملك، ورفضه للإله، وبناء على تحليل فرويد فإن موقف فولتير الإلحادي لم يكن نتاج عملية عقلية منطقية لكن تحقيق لرغبة أوديب.

الدوافع النفسية للإلحاد

في دراسة بعنوان «النمط النفسي للملحد» والتي أجراها عالم النفس بنيامين هلاهمي على أعضاء «الإلحاد الأمريكي لتقدم الإلحاد» ظهر أن نصف من تبنوا الإلحاد قبل سن العشرين (وهم الأغلبية) فقدوا أحد والديهم قبل هذه السن وإن عددًا كبيرًا منهم عانى كثيرًا في طفولته وصباه، واستنتج من ذلك أن أية دراسة للملحدين ينبغي أن تنطلق من دراسة ظروف النشأة والتربية.

وبالفعل اهتم علماء النفس حديثًا بالأسباب النفسية والشخصية والاجتماعية وراء تبني الإلحاد وحرصت هذه الدراسات بقناعة علمية بأن هذه العوامل تقف في مقدمة أسباب هذه الظاهرة ومن ثم فإن ما يطرحه الملاحدة كأسباب معرفية موضوعية (علمية ومنطقية) لإلحادهم ما هي - في معظم الأحيان - إلا قناع تختفي وراءه العوامل النفسية والشخصية والاجتماعية، وسنعرض فيما يلي أهم العوامل النفسية وراء هذه الظاهرة:

أولًا: منظور التقصير الأبوي

بالرغم من أن عالم النفس الأمريكي (بول فيتز Paul Vitz) هو الذي قدم المفهوم بشكل متكامل في نهاية تسعينيات القرن العشرين، فإن معظم العلوم الإنسانية (علم النفس - التحليل النفسي - الفلسفة - علم الاجتماع - الأنثروبولوجيا) فقد أشارت قبلُ إلى أهمية دور العنصر الأبوي في تبني الأبناء للإلحاد.

كما يخبرنا فرويد بـ«أن التحليل النفسي يؤكد كل يوم أن الفتيان يفقدون إيمانهم الديني بمجرد أن تنفصم عرى السلطة الأبوية» بل إن فرويد نفسه كان أحد نماذج هذا العامل النفسي ويتبنى هذا المفهوم أن الإنسان يعتبر

الإله النموذج المطلق للقوة والسلطة كما يرى في أبيه التجسيد البشري لهذا النموذج، ومن ثم فمن يفقدون الأب (وفاة أو هجر للأسرة) وهؤلاء الذين لديهم آباء ضعفاء (جبناء) أو أساءوا معاملتهم (بدنيًا - نفسيًا - جنسيًا) يعانون صعوبات في تبني الإيمان بإله. (ولا شك أن من يجد بديلًا مناسبًا عن الأب «أستاذ - جد - صديق أكبر»... يكون أحسن حالًا).

ويذكر بول فيتز أن سير أنتوني فلو - الذي ظل راعيًا للإلحاد في الغرب طوال النصف الثاني من القرن العشرين، ثم أعلن إيمانه بالإله بعد أن تجاوز الثمانين من عمره - قد شوهد بعد أن أفرط في شرب الخمر، راقدًا على الأرض ويصرخ مرارًا «إني أكره أبي ... إني أكره أبي».

ثانيًا: نظرية الارتباط (التعلق)

في أثناء عمل بول فيتز في نظريته عن التقصير الأبوي في ختام القرن العشرين، كان هناك فريق آخر يصيغ «نظرية / فرضية الارتباط (التعلق) «... وخرج بنظرية نفسية مهمة تتبنى أن طبيعة الرابطة بين الطفل وأمه (الرمز الأمومي Mother Figure) تمثل النموذج الذي ستكون عليه العلاقة بين هذا الشخص في المستقبل وبين الآخرين ويمتد هذا النموذج حتى يؤثر في العلاقة بالإله.

وقد طرح هذه النظرية عالم وطبيب النفس الإنجليزي (جون بوالبي John Bowalby) ثم قام بتعميمها، وتقدم المزيد من الأدلة عليها تلميذته عالمة النفس الأمريكية «ماري أنويرث» المهتمة بعلم نفس التربية.

وبعد دور الرابطة مع الأم تأتي في الأهمية رابطة الأسرة ورجال الدين.

وقد أظهرت الدراسات أن الارتباط بالأب (منظور التقصير الأبوي) يكون أكثر تأثيرًا في العلاقة بالإله عن باقي أنواع الارتباط حتى مع الأم.

- اختلال غياب نموذج الأم:

ترمز الأم بالنسبة لطفلها إلى نقاء الإله ورحمته وعنايته، وقد أظهرت الدراسات النفسية لسير كبار الملاحدة أن علاقة الكثيرين منهم بأمهاتهم كانت مضطربة في أثناء فترة الطفولة، ويبلغ تأثير هذا الاضطراب أقصي مداه في الفترة العمرية ١: ٣ سنوات وقد تمتد لسنوات قليلة بعد ذلك؛ لذلك غالبًا لا يذكر الشخص طبيعة علاقته بأمه لكنها تترك في نفسه آثارها العميقة التي لا تنمحي وقد ابتكرت «د. ماري أنويرث» اختبارًا يقيس نوع الارتباط بين الطفل وأمه، وقد قسمت هذا الارتباط إلى أربعة أنواع:

١ - الارتباط الآمن:

تكون الرابطة بين الابن وأمه قوية مستقرة ويسودها الدفء والحنان، وهذا الارتباط هو الأكثر شيوعًا (حوالي) ٦٥٪.

٢ - الارتباط غير الآمن (ارتباط التحاشي):

حيث تكون علاقة الطفل بأمه غير وثيقة، وهؤلاء الأطفال يكونون انطوائيين ولا يرغبون في تكوين علاقات مع الآخرين خوفًا من انفصالها، كما يعتبرون التجارب العاطفية غير مهمة ويتهربون منها، ويمثل هؤلاء حوالي٢٠٪ من الأشخاص.

٣ - الارتباط المتناقض (المتأرجح):

تتأرجح العلاقة بين الطفل وأمه في هذا النوع من الارتباط وهؤلاء يكونون متوترين عن إقامة العلاقات لكن لا يتهربون منها وأحيانًا يبحثون عنها بعصبية، ويحب هؤلاء أن يكونوا محور الاهتمام ويمثل هؤلاء قرابة ١٥٪ من علاقات الأمهات بأبنائها.

٤ - الارتباط المضطرب: Disorgamised Attachment

حيث تفسد العلاقة وتضطرب بين الأم وطفلها يكونون انطوائيين مرتبكين ولا يطمئنون انفعاليًّا وسلوكيًّا في علاقاتهم مع الآخرين وتشكل نسبة هؤلاء حوالي ٥٪، ولا شك أن المعدلات السابقة هي متوسطات تختلف من مجتمع لآخر.

وبناء على هذا التقسيم، تعرض تأثير الارتباط بالأم من خلال جانبين متقابلين: العلاقة بين الارتباط والتدين وعلاقة الارتباط والإلحاد:

- الارتباط والتدين:

يعتمد قبول الشخص للعلاقة مع الإله نمط الارتباط بينه وبين أمه والذي استقر في نفسه في طفولته ويتبع ذلك إحدى فرضيتين:

١ - الفرضية التوافقية:

تتبنى هذه الفرضية أن هناك «توافقًا» بين نمط الارتباط مع الأم وبين الارتباط بالإله فأصحاب الارتباط الآمن يكونون عادة علاقات وثيقة مع الإله، بينما يجد أصحاب الارتباط غير الآمن صعوبات في إقامة علاقة مع الإله.

٢ - الفرضية التعويضية:

في هذه الفرضية يكون الأشخاص من ذوي الارتباط غير الآمن أكثر ميلًا للارتباط بالإله كنوع من «التعويض» للحصول على الأمان الذي يفتقدونه في علاقاتهم بأمهاتهم في صغرهم وتفسر هذه الفرضية التحول المفاجئ في موقف بعض الملاحدة إلى الإيمان.

أي هاتين الفرضيتين المتناقضتين صحيحة؟

يبدو أن كلتيهما صحيحتان فقد ظهرت العديد من الدراسات على المتدينين أن منهم من يصل إلى الإيمان بالآلية التوافقية ومنهم من يصل

بالآلية التعويضية ويعتمد ذلك على درجة تدين الأسرة.

فإذا كان تدين الأسرة مرتفعًا أعطى ذلك فرصة لأصحاب الارتباط الآمن ليدعموا علاقتهم بالإله، أما إذا كان التدين منخفضًا مال أصحاب الارتباط الآمن إلى عدم الإيمان (توافق) ومال أصحاب الارتباط غير الآمن إلى الإيمان (تعويض).

وأظهرت الدراسات أيضًا أن أصحاب الارتباط الآمن ينظرون للإله باعتباره محبًّا قريبًا متسامحًا، ويشعرون دائمًا أن الإله يرعاهم كما يكون إيمانهم أعمق وأكثر استقرارًا وإشباعًا لاحتياجات الإنسان النفسية؛ لذلك يكون هؤلاء أقل عرضة للتوتر والاكتئاب والأمراض النفسية والجسدية ويكونون أكثر رضاء وانسجامًا مع الحياة. وكما يكون هؤلاء على علاقة طيبة ومستقرة بالأم وبالإله فإنهم يكونون أكثر تقبلًا للآخر من الديانات المختلفة، ويكونون أكثر جرأة في الإقبال على دراسة الديانات المقارنة كما يكونون أقل قلقًا على تدينهم ومستقبلهم.

وفي المقابل يكون تدين أصحاب الارتباط غير الآمن غير مستقر وقابل للارتداد، كما يكون أقوى انفعاليًّا (إيجابيًّا وسلبيًّا)؛ لذلك يخرج من هؤلاء المتطرفون والتكفيريون والإرهابيون.

- الارتباط والإلحاد:

تسعى نظرية الارتباط (مثل نظرية التقصير الأبوي) لتوقع أي الأشخاص يمكن أن يتبنى الإيمان وأيهم يمكن أن يتبنى الإلحاد، وفي إطار هذه النظرية نلاحظ ما يلي بخصوص الملاحدة:

يكون الملحد عادة من ذوي الارتباط غير الآمن بأمهاتهم، وإذا تحول بعض هؤلاء إلى الإيمان يكون تحولهم مفاجئًا وغير مستقر (ربما يرتدون إلى الإلحاد مرة أخرى (كما يكون تدينهم متشددًا.

قد تستنتج في ضوء النظرية أن الملاحدة من ذوي الارتباط الآمن المستقرين نفسيًّا ينبغي أن يظلوا ملاحدة، ولكن مع تأمل أعمق للنظرية نجد أن هؤلاء يكونون مرتبطين بوالدين محبين (خاصة الأب الذي يرمز للإله) وهذا الحب إن لم يدفعهم لتقبل الآخر من المتدينين.

إذا نظرنا إلى الديانات المختلفة واعتبرنا الإلحاد أحدها، نجد أن من تربوا كملاحدة يكونون أكثر استعدادًا لمفارقة دينهم من أصحاب الديانات الأخرى ويعبر عن ذلك بأن الإلحاد يتميز بأدنى معدل للاحتفاظ بأتباعه Lowest Retemtion Rate (٣٠٪) بينما تبلغ النسبة في الهندوس ٨٤٪ وفي المسلمين ٧٦٪ والكاثوليك ٦٨٪ وفي البوذيين ٤٩٪.

ولا شك أن هذه النسب تختلف من مجتمع لآخر، كما تتوقف على عدة عوامل، مثل طبيعة المجتمع والتماسك الاجتماعي والتماسك بين أفراد الديانة ونضيف هنا نوع الارتباط في الأسرة (الارتباط آمن أو غير آمن) وفي العادة تكون الأسرة الملحدة غير مستقرة.

وإذا كان اختلال نموذج الأم من الأسباب القوية وراء تبني الإلحاد فإن الإنسان إذا وجد تعويضًا مناسبًا عن أمه قل تأثير هذا السبب ومثال ذلك «ك س لويس» C.S.Lewis الذي صار عالم اللاهوت الأشهر في القرن العشرين لقد فقد أمه بمرض السرطان في طفولته لكن عوضه الله عنها بأم بديلة (جان مور Jane Moore) ظل يدعوها أمي لمدة ثلاثين عامًا حتى ماتت، لذلك لم يكن صعبًا على لويس أن يترك إلحاده المبكر ويتبنى المسيحية الإنجيلية بحماس حتى اعتبره البعض قديسًا.

والمحصلة أن مع اختلاف العوامل التي تضعف العلاقة بالوالدين (كليهما أو أحدهما) فإن هؤلاء الصغار يكونون أكثر استعدادًا للإلحاد عندما يكبرون.

والآن جاء دور الاستشهاد بكبار الملاحدة ممن تأثروا بمفهوم اختلال /

غياب نموذج الأم:

- كبار الملاحدة الذين تأثروا بغياب الأم:

- آرثر شوبنهور:

هجرته أمه وأهملته - إذ كان حملًا غير مرغوب فيه - وكان دائمًا يلوم أمه أنها كانت السبب في انتحار والده عندما كان في السابعة عشرة من عمره.

- جل جونستون:

كانت أمها التي هجرها أبوها تحتقرها واكتشفت أن والديها لم يتزوجا، وكانت أمها تصفها بـ « ابنة الزنا Bastard» وكانت هي تصف أمها بـ«البغي الفاجرة Whore».

- برتداند رسل:

فقد أمه في سن حرجة (سنتين) حتى كان لا يكاد يذكرها.

- جان بول سارتر:

تزوجت أم سارتر بعد وفاة أبيه من رجل لفظه، كذلك أهملته أمه وتركته لجديه اللذين أهملاه أيضًا.

- فولتير:

كانت أمه كثيرة الغياب وأهملته تمامًا، وكان فولتير يعدها عاهرة.

- فريدريخ نيتشه:

كان يعتبر أمه والنساء جميعًا كائنات متدنية، فالرجال للحرب والصراع، والنساء للترفيه والإمتاع وكان يعتبر النساء كالقطط أو الطيور وفي أحسن الأحوال كالبقر.

وأيضًا السفاحون:

لا يقف تأثير اختلال نموذج الأم - وما سبق من كراهية للنساء والإله - عند الإلحاد فحسب بل يمتد إلى مجالات أخرى أهمها القتل.

فهناك السفاحون الذين يرتكبون جرائم القتل المتعددة دون أن تهتز مشاعرهم وقد أصبح العشرات منهم واسعي الشهرة في الغرب وإن لم يكونوا معروفين لدينا.

من هؤلاء السفاحين من حبسته أمه في البدروم منذ بلغ سن العاشرة، وكانت تعتبر أنه يمثل تهديدًا جنسيًا لأخته.

ومنهم من كانت أمه داعرة تحضر زبائنها للمنزل وعندها تجبر ابنها أن يرتدي ملابس البنات.

ومنهم من كانت أمه الداعرة تعامله بقسوة وكانت تجبره على الاستحمام معها، وهددته بحجزه في مستشفى الأمراض العقلية.

ومنهم من ولد في بيت الأمهات غير المتزوجات وقد استعاده جده ورباه كابنه حتى ظن أنه أخ لأمه.

ومنهم من كانت أمه بغية وعرضته للتبني وكانت أمه الجديدة موسوسة للغاية حتى سعت لحمايته بشكل غير طبيعي فكانت توبخه وتعاقبه بشدة.

ومن هؤلاء الأطباء الذين يحترفون إجهاض الحوامل، وكان الكثيرون منهم مشهورين بكراهيتهم الشديدة للنساء.

ولا شك أن معظم هؤلاء يجمعون بين الإجرام وبين الإلحاد في صورته العملية.

ب - الاختلال الأسري:

لاحظ عالم النفس بنيامين هلاهمي أن الكثير من الحالات الملحدة يجتمع فيها التقصير الأبوي مع اختلال رمز الأم وجمع ملاحظاته حول هذا

الخلل الأسري المزدوج في عدد من النقاط:

١ - كلما تضاءل اهتمام الوالدين بالدين كلما ازداد تمرد أبنائهما عليه.

٢ - إذا كان الوالدان مختلفين في الدين وترتب على ذلك خلافات في الأسرة زاد احتمال ارتداد الأبناء عن الدين.

٣ - من ارتدوا عن الدين بالرغم من نشأتهم في أسرة متدينة عادة ما تكون علاقتهم بالأسرة غير طيبة، ومن المهم أن نلاحظ أن علاقة الوالدين بالطفل تمارس تأثيرها في مراحل سنية مختلفة، فتأثير الارتباط السيئ بالأم يكون في الفترة من ١ : ٣ سنوات وهي سن تعلق الطفل الشديد بأمه، أما المتفقون بعقدة أوديب فيرون أنها تتشكل في الفترة من ٣ : ٥ سنوات، ويظهر تأثير التقصير الأبوي بعد سن الخمس سنوات ويمتد حتى نهاية فترة المراهقة.

- ملاحدة عانوا من الاختلال الأسري:

ويظهر استقراء سير كبار الملحدين العديد من الأمثلة لتأثير الاختلال الأسري:

١ - هـ.ج. ويلز:

لم يكن والداه على وفاق وكان ينامان في غرفتين منفصلتين، وتمنيا الإلحاد بعد وفاة أخته.

٢ - ألبرت إليس:

كانت أمه تهجره معظم الوقت، ونادرًا ما كانت أسرته تزوره عندما تم حجزه في المستشفي في سن الخامسة، وهجر والده العائلة وهو في سن المراهقة.

٣ - برتراند رسل:

ماتت أمه وهو في الثانية، ومات أبوه وهو في الرابعة، ثم جده الذي تولى تربيته وهو في السادسة وكان مصدر الحنان له، وبعد ذلك مربيات توفيت أحبهن إليه وهو في سن الحادية عشرة.

٤ - فولتير:

ماتت أمه وهو في سن السابعة وهجره أبوه، وكان يعلن - وأحيانًا يباهي - بانه الابن غير الشرعي للشاعر الشهير روشبرن.

٥ - جين دالمبيرت:

كان ابنًا غير شرعي، وتُرك بعد ولادته في سلة أمام كنيسة القرية.

٦ - بارون دو هولباخ:

هجره والده ورباه عمه الذي لم يكن يشعر تجاهه بالحب.

وكما ذكرنا في اختلال نموذج الأم فإن للاختلال الأسري تأثير أكبر على الانحراف وتبني الإجرام وعادة ما يكون ذلك مصحوبًا بالإلحاد المعلن أو الإلحاد العملي.

فمن هؤلاء المجرمين والسفاحين من ماتت أمها وهي في الرابعة، أما أباها فقد أرسلها لتعيش مع جديها، وعرض شقيقتها الكبرى للتبني، ولما تزوج استعاد ابنته لكنه وزوجته كانا يسيئان معاملتها للغاية، وكانا يعذبانها ويحرقانها بالسجائر.

ومن هؤلاء من فارقته أمه وأبوه، وعند خروجه من الخدمة العسكرية تركاه ليحيى في حزن.

ومنهم من كان يصحب أمه في مغامراتها الجنسية، وكان أبوه ضعيفًا

للغاية وغائبًا باستمرار.

ومنهم من ماتت أمها في سن الثالثة، وكانت زوجة أبيها تكرهها، وكان أبوها صارمًا يقطع رقاب الحمام الذي تحبه من أجل أن يؤدبها.

والعديد من هؤلاء السفاحين هجره أبوه وكانوا يعيشون طفولة بائسة.

وقد أثبتت الدراسات أن الحضارات التي تولي مؤسسة الأسرة دورًا مهمًّا وتحافظ عليها تنتج أفرادًا على علاقة طيبة بالإله، وإذا تفتت مؤسسة الأسرة هدد ذلك بشدة منظمتي الإيمان والأخلاق في نفوس الأبناء، كانت معظم المجتمعات الإنسانية في الماضي تسعى لإدخال الطمأنينة على قلب الإنسان بحيث يحتفظ بتوازنه مع نفسه ومع الطبيعة، ولعل الأسرة هي أهم المؤسسات التي طورها الإنسان ليدخل الطمأنينة على قلبه.

أما المجتمعات الحديثة - خصوصًا المجتمع الأمريكي - فقد جعلت الإنتاجية والحركية هدفها، ويبدو أن الفرد المطمئن المتوازن مع نفسه يقف على طرف النقيض من الفرد المنتج الحركي؛ فالقلق يولد نزعة إمبريالية في الإنسان تجعله يود غزو العالم والهيمنة عليه ليثبت لنفسه تفوقه، فيحقق شيئًا من الاتزان والطمأنينة، إن المجتمع الأمريكي هو مجتمع القلق يتبنى الاعتماد على النفس ويقذف بأطفاله في سوق العمالة في مرحلة مبكرة للغاية، وفي سن الثامنة عشرة لا بد من أن يترك الفرد أسرته ليعيش بمفرده وليكمل تعليمه، لقد جعل التآكل الكامل للأسرة الفرد يعيش منعزلًا ولا يشعر بأي اطمئنان، بل يُترك وحيدًا أمام آلاف الاختبارات والإعلانات حتى يلتهمه الإعلام الكفء التهامًا، لا يجد أية مرجعية تكون موضع ثقته، وتصدر شرعيته، وتضيف معنى على وجوده، وتساعده على اتخاذ القرار لقد «فقد الإنسان الرأفة في عالم بلا قلب كما يقول عالم الاجتماع الأمريكي «**كريستوفر لاشي**» في وصفه لتآكل نظام الأسرة.

جـ - الأب / الأم البطل الملحد:

درسنا في النمطين السابقين تأثير العلاقة السيئة بالأب والأم على أبنائهما، وفي هذا النمط المقابل نلتقي بتأثير العلاقة شديدة الارتباط والتعلق على تبني الأبناء لإلحاد أحد الوالدين.

ولعل من أشهر الأمثلة على تبني الأطفال المفكر الإنجليزي الكبير «**جون سيتوارت مل**» والفرنسية «**سيمون بوفوار**»، وترجع أهمية هذين المفكرين إلى أنهما قد صرحا بأنهما قد تأثرا بشدة في إلحادهما بوالديهما.

كان جيمس والد جون ستيورات مل فيلسوف ورجل اقتصاد كبير، وكان شديد الاهتمام بجون الذي كان شديد التعلق بوالده الذي تولى تعليمه بنفسه في المنزل، وكانت النتيجة أن تبني جون إلحاد والده، وفي مرحلة متقدمة من حياته كان مل يشكو أن تعلقه بوالده الملحد لم يجعل الإيمان اختيارًا مطروحًا بالنسبة له.

كذلك كانت سيمون دي بوفوار شديدة التعلق بوالدها غير المؤمن، وكانت تقول: إن شك أبي هو الطريق لي، وأراحني من الخوض بمفردي في مغامرة خطيرة - تقصد الإلحاد -، وفي مرحلة لاحقة وجدت سيمون في جان بول سارتر بطلًا آخر، وكانت تصفه قائلة: «كانت ثقتي به كاملة وكنت أجد فيه الأمان المطلق الذي كنت أجده في والدي وفي الإله.

كذلك يحدثنا علماء النفس عن «فرضية ترتيب الميلاد» التي تتبنى أن ترتيب الابن في أسرته له دور كبير في تحديد ما تبناه من أفكار، فالأخ الأكبر يكون أكثر انقيادًا للمفاهيم والعرف والتقاليد السائدة في العائلة، وفي المقابل يكون الإخوة الأصغر عادة منفتحين على الأفكار الجذرية الجديدة التي تطمس المفاهيم السائدة؛ سواء كانت هذه الأفكار الجديدة أصلية ومهمة أو كانت سخيفة وسطحية.

د - اختلال نموذج رجال الدين:

يشير بول فيتز إلى أن رجال الدين يحتلون في المسيحية - خصوصًا لدى المتدين في الغرب - منزلة الآباء، وبالتالي يمكن أن نشملهم في نظرية الارتباط.

لذلك فإن أي انحراف يشين رجال الدين - فضيحة، كسل وتراخ - كان يعتبر عاملًا مهمًّا في الموجة الإلحادية في نهاية العصور الوسطى.

ولا يقف تأثير هذا العامل عند مفهوم الارتباط النفسي فقط، بل أن رجال الدين يرمزون للدين نفسه، ومن ثَم فإن انحرافاتهم تؤخذ على الدين وتكون سببًا منطقيًّا في إلحاد أتباعهم.

وعامل ثالث وراء تبني الإلحاد يحسب على رجال الدين في الغرب: هو حرصهم على كسب الناس وعدم إغضابهم حتى يضمنوا ترددهم على كنائسهم، وقد دفعهم ذلك إلى عدم مراجعة العصاة في معاصيهم فتكون النتيجة اجتراء هؤلاء مع المعاصي وأقصاها الإلحاد.

وقد بلغت كراهية البعض لرجال الدين بسبب إساءاتهم الشديدة لهم حدًّا دفع القس «جين ميسليه» لأن يكتب سرًّا قائلًا: «أتمنى أن يشنق كل حكام العالم وكل المفاهيم الكنسية بأسماء القسيسين «لقد كانت كراهية الكنيسة ورجالها حاجزًا منيعًا ضد الإيمان الحقيقي حتى أصبح بحق أبًا روحيًّا لكل الملاحدة الجدد!!

وبالرغم من إيمان عظيم الهند «غاندي «بالإله فقد رفض اعتناق المسيحية؛ لأنه لم يقابل إنسانًا واحدًا على أخلاق المسيح. وفي المقابل فإن الملحد المتحمس «مالكوم موجيردج Malcoim Mogeridge» تبنى المسيحية لأنه رأى في الأم تريزا مثالًا مجسدًا للمسيح.

هكذا نرى كيف يصبح سلوك رجال الدين عامل جذب أو نفور من الدين؛ لِمَا يمثله هؤلاء بالنسبة لمريديهم، ويطرح عالم النفس الأمريكي بول فيتز تجربة شخصية مؤلمة لصديق له مع أحد رجال الدين. لقد أخطأ صديقه في أحد طقوس الكنيسة، فكان أن عنفه القس واحتقره وأذله؛ مما ترك في نفسه جرحًا لم يندمل دفع صديقه ثمنه إلحادًا بالإله.

- سقوط الإمبراطورية الرومانية:

وينقلنا «بول فيتز» إلى تأمل أفكار المؤرخ البريطاني الكبير «إدوارد جيبون Edward Gibbon » صاحب السفر الشهير «سقوط الإمبراطورية الرومانية» فنجد أنه يرجع سقوط الإمبراطورية إلى سلوك الكنيسة، والسؤال هنا: هل كان هذا التفسير موضوعيًّا خالصًا أم كانت وراءه خلفية جيبون النفسية؟ لقد تناول السير التي كتبت عن جيبون تحليلًا نفسيًّا لشخصيته، جاءني أصداءها أن المؤرخ الكبير كان في صغره صاحب توجه ديني، وما أن وصل إلى أكسفورد حتى تبنى المذهب الكاثوليكي الروماني أصاب ذلك والده بالإحباط، حيث كان العرف والتقاليد في المجتمع الإنجليزي البروتستانتي يزدريان هذا المذهب، وفي محاولة لإنقاذ جيبون من الازدراء المجتمعي أرسله والده ليحيا مع أسرة وزير بروتسستانتي التي كانت تعيش في سويسرا لعدة سنوات، وبعد عام من وصوله إلى سويسرا وتحت تأثير ضغوط والده ومضيفه الوزير عاد جيبون إلى المذهب البروتستانتي، وقد ترك هذا التحول في نفسه صراعًا عميقًا لم يهدأ، بسبب ذلك الموقف تشكك جيبون في قيم ومفاهيم مفكري القرن الثامن عشر - كوالده وصديقه - كما أصبح ناقدًا للكنيسة وللمسيحية.

هل كان هجوم جيبون على الكنيسة وتحميلها مسئولية سقوط الإمبراطورية الرومانية نوعًا من الثأر لما أصابه من معاناة نفسية؟

أم كان رد فعل ضد حماس عائلته - وحماسه السابق - للدين؟

- التحرش الجنسي بريتشارد دوكنز:

إذا انتقلنا إلى الملاحدة الجدد قابلنا تصريحًا لكبيرهم ريتشاد دوكنز بأنه في سن الحادية عشرة تعرض لتحرش جنسي من أحد مدرسيه في مدرسته الدينية، وقد صرح دوكنز بنفسه بذلك - ووصف التفاصيل - في حوار مع مجلة التايمز في سبتمبر ٢٠١٣، والعجيب أن دوكنز رفض أن يدين هذا التصرف - كما يقول للمجلة - فهل كان لهذا الموقف الذي لم ينمح من ذاكرته بعد عشرات السنين تأثيرًا في تبنيه الإلحاد، ومهما اختلفت التفسيرات فإن الرسالة واحدة وهي دور «الارتباط» بالمؤسسة الدينية في تبني الإلحاد، إذا أصابت هذه المؤسسة ورجالها الشخص بجروح نفسية.

ثالثًا: إجهاض الإله

بعد استعراض دور علاقة الابن بأبيه وأمه في تبني الإلحاد والتي يتشكل تأثيرها في الصغر، نطرح مثالًا للعوامل النفسية التي يتشكل تأثيرها في مرحلة لاحقة من العمر.

يسبب الإجهاض لكثير من النساء على المستوى النفسي ما يعرف بصدمة ما بعد الإجهاض «Post-Abortive Traumoa» ولا يقف تأثير هذه الصدمة على المرأة وحدها، بل يمتد إلى زوجها وأبنائها ووالديها حتى يمكن القول: إن الإجهاض قد يدمر العائلة نفسيًّا وقد يمتد هذا التأثير ليدمر العلاقة بالإله.

وترجع هذه الآثار إلى شعور أفراد الأسرة بالعجز عن تدعيم العلاقة بينهم بمزيد من الذرية، ويعقب ذلك اهتزاز النظرة للإله - على المستوى الواعي أو غير الواعي -خاصة أتباع الديانات التي تعتبر أن البشر - الذين أجهض أحدهم - قد خلقوا على صورة الإله !لذلك إذا لم يتم علاج أفراد الأسرة

الحساسين لهذا التأثير علاجًا نفسيًّا فإن إجهاض الحمل يتبعه إجهاض الإله.

- المرأة / الأم:

تشعر المرأة المجهضة بالذنب وبالعزلة والحزن الشديد وبالغضب والاكتئاب والخزي، وكثيرًا ما تنتابها وساوس قهرية مختلفة، وقد تبدي المرأة سلوكيات متطرفة مثل الانخراط الشديد (أو الامتناع) في الطعام، أو إدمان الكحوليات والمخدرات، وربما يصل الأمر إلى ضعف القدرة على الارتباط النفسي بأطفال في المستقبل وإلى فساد علاقتهن بأزواجهن.

وفي جانب آخر تشعر المرأة بالغربة عن المجتمع المتدين ثم عن الإله ويصل الأمر إلى الغضب من الإله ولا تستطيع الأم التسامح فيه، وكمهرب من هذه المعاناة قد تنكر المرأة الوجود الإلهي (الإلحاد).

- الرجل / الأب:

كثيرًا ما يصاب آباء الحمل المجهض بالشعور بالذنب والندم والحزن والعجز، وكثيرًا ما يعانون كوابيس تدور حول من فقدوهم.

وقد ينفث الرجل عن الشعور بالعجز وفقدان الثقة بالنفس بسلوك عدواني تجاه النساء، وقد يهجرون زوجاتهم كآلية للهروب، وكثيرًا ما يعاقبون أنفسهم بالإساءة إليها بإدمان المخدرات والخمور، وبإيلام الجسد بثقب الجلد دون مبرر أو بحجة عمل وشم مثلًا، وكمهرب من كل هذه المعاناة قد يتبنى الرجل الإلحاد.

- الأبناء:

بالإضافة إلى ما يعانيه إخوة الحمل المجهض من سوء معاملة الأم بسبب ما تعانيه من مشكلات نفسية ذكرناها آنفًا فإنهم قد يعانون الإحباط واليأس

والخوف من العالم.

ويمتزج ذلك الشعور بالغضب وبالذنب، نتيجة لتساؤل لا واعٍ لشعوره: لماذا أنا عشت بينما أخي قد مات؟ وربما يعتبرون أنهم يعيشون على حساب أخيهم المجهض باعتبار أن والديهم عاجزان عن رعاية طفل آخر معهم (إما أنا أو هو)، وأحيانًا يصحب ذلك خوف باطني كاسح مع الأم (ربما أكون أنا من تضحي به المرة القادمة) ولا شك أن ذلك يؤدي إلى الغضب من الإله. وتعرف هذه الأعراض بـ «متلازمة البقاء Survivor Symdrome» وقد يكون الإلحاد هو المخرج من هذه المعاناة.

- الجد والجدة:

كثيرًا ما يعاني الجد والجدة من أعراض ما بعد الإجهاض. وأهم ما يشكون منه هو الشعور بالاكتئاب والغضب والمرارة والامتعاض تجاه ما حدث، وكثيرًا ما يعجزان عن مسامحة ابنتهما أو زوجة ابنهما، وينعكس ذلك على معاملتهما لهما.

مما سبق نرى أن الإجهاض يمثل مأساة أسرية اجتماعية وقد سمعنا بالمزيد من «الإجهاض حسب الطلب»، فإذا تم انفصال عُرى العلاقة بين أفراد الأسرة يتم تفكك المجتمع، وبذلك يكون الإلحاد هو الابن الشرعي لهذا الدمار.

وهكذا فإن الإلحاد مرض نفسي، وهو آفة تظهر عبر العصور وتستحق منا المكافحة تمامًا كما نفعل عندما تصيب إحدى الآفات المزروعات الخضراء النامية في حقولنا، فما بالكم في تلك الآفة التي تريد تدمير عقول أبنائنا!!

- لماذا ظهر الإلحاد الآن؟

عندما نتأمل دور الدوافع النفسية وراء الإلحاد يقفز في الخاطر سؤال

بديهي مهم، وهو: لماذا ظهر الإلحاد الآن؟

إن هذه الدوافع النفسية (التقصير الأبوي - الارتباط - الإجهاض) والعوامل الشخصية وأيضًا العوامل البيولوجية (كالتوحدAUTISM) موجودة منذ نشأة الإنسان - في الأغلب - فلماذا لم يظهر الإلحاد إلا في القرن الثامن عشر في أوروبا؟!

للإجابة عن هذا التساؤل نقول: إن هذه الدوافع النفسية ليست التفسير الكامل للإلحاد وهي غير كافية لإنكار الوجود الإلهي، بل هي عوامل تمهد وتعد النفس البشرية لهذا الإنكار، وعلى هذه الخلفية الذاتية (الدوافع النفسية والشخصية) تمارس الدوافع الاجتماعية والمعرفية الموضوعية دورها.

الإلحاد ونظرية التقصير الأبوي

أشهر التفسيرات النفسية للإلحاد (انكسار سلطة الأب).

يقول عالم النفس الأمريكي الشهير «بول فيتز»: لا شك أن طرح فرويد تفسير نشأة الإلحاد من خلال عقدة أوديب نفسها ليس مقبولًا لدى الكثير من علماء النفس، حتى الملحدين منهم، فإذا كان دور الأب محوريًّا في حياة الطفل فإن تفسير الدوافع اللاواعية في حياتنا من خلال رغبة الطفل الجنسية في أمه، والصراع الأزلي مع الأب أبعد ما يكون طرحًا جيدًا، ليس لمنافاته لنظرتنا وقيمنا الأخلاقية، فذلك لا اعتبار له في العلم لكن ببساطة لأنه ليس هناك دليل واحد معتبر على هذا الطرح.

ويضيف «بول فيتز»: ولما كنت كعالم نفساني لا أجد في الساحة تفسير نفساني للإلحاد إلا طرح فرويد كنت أشعر دائمًا بالحاجة لطرح أصوب، وقد دفعني ذلك إلى البحث عن طرح جديد والاستدلال عليه ثم عرضه على الساحة العلمية.

ولأكون أمينًا فإن ما طرحته لم يكن جديدًا كل الجدة ولا طرحًا أصيلًا كما نقول بلغة العلم، فقد كان طرحي استكمالًا واستدلالًا على طرح ألمح إليه فرويد بشكل عابر أي أنني لم أبتكر النظرية، ففي مقالته عن ليوناردو دافنشي، يقول فرويد: إذا كان التحليل النفسي بين العلاقة الوثيقة بين منظومة الأبوة وبين الإيمان بالإله، فإن التحليل يرينا أيضًا أن الإله المتجسد ليس إلا تمجيدًا للأبوة. ويؤكد ذلك المعنى ما نرصده يوميًّا من أن الصبية يفقدون إيمانهم بالإله فور أن ينكسر داخلهم الشعور بسلطة الأب.

ويعلق بول فيتز على هذه الإشارة قائلًا: «إن هذا التلميح لفرويد خال من ترهات الرغبة الجنسية اللاشعورية في الأم، وخال من الطبيعة الصراعية

التنافسية في العلاقة بين الابن والأب وأصيب بخيبة أمل، فإنه يفقد احترامه لهذا الأب وبالتالي يستحيل الإيمان بالمقابل الذي في السماء».

ملامح النظرية:

ونمهد لعرض أدلة بول فيتز على نظريته التي صارت تعرف بـ «نظرية التقصير الأبوي» بالإجابة عن بعض التساؤلات وطرح بعض الملاحظات.

أ - لماذا كانت العلاقة بين الابن والأب بهذه الأهمية في المنظومة الإيمانية؟ يمكن تفسير ذلك من خلال ثلاث أطروحات:

الطرح الأول: هو ما يعرضه بول فيتز من خلال نظريته في التقصير الأبوي ويتداخل مع هذا الطرح المفهوم الديني الذي يدور حول طبيعة الإنسانية، فالإله قد خلق الإنسان على صورته، بل إن العلاقة بين الإله والإنسان تشبه العلاقة بين الأب وابنه، حيث إننا في تربيتنا لأبنائنا نشبه الإله بالأب بشكل مباشر كما نطلق على الأب مصطلح رب البيت. وفي إطار هذين الطرحين يصبح الأب المثالي رمزًا طيبًا للأبناء جديرًا بالحب، وبالمثل يمثل الأب المقصر رمزًا سيئًا جديرًا بالبغض، مما يجعل الأبناء يسقطون أو ينتقلون أو يزيحون هذه المشاعر إلى الإله مما يشكل خطرًا على المنظومة الإيمانية.

وبالطبع فالطرح الثالث «فرويد» الذي ينطلق من عقدة أوديب والذي تآكل مؤيده.

ب - ما أسباب فقدان الصغير لاحترامه لأبيه؟

١ - أن يسيء الأب معاملة ابنه / ابنته، سواء بدنيًا أو جنسيًا أو نفسيًا.

٢ - أن يكون الأب ضعيفًا جبانًا أو سيئ السلوك لا يستحق الاحترام حتى وإن كان ظريفًا ومحبوبًا.

٣ - أن يكون الأب غائبًا إما بالموت أو بالهجر بحثًا عن ملذاته أو هروبًا

من مسئولياته، ويرجع تأثير موت الأب إلى ألا يرى أبناءه ولا يرعاهم فيتعلم الأطفال الاعتماد على أنفسهم وعدم الحاجة للآخر. كما يعتبر الصغير موت الأب خيانة، إذ تخلى عنه، وبعد أن يدرك الصغير مفهوم الألوهية قد يصبح موت الأب دافعًا لأن يبغض الصغير الإله الذي حرمه من أبيه.

ويجسد مفهوم لوم الإله موقف كتبه الصحفي الأمريكي الشهير والكاتب الساخر في جريدة نيويورك تايمز راسل بيكر في سيرته الذاتية فبعد أن مات والد بيكر وهو في سن الخامسة بكى الطفل حزنًا وقال لخادمتهم بيسي: «إذا كان الإله يفعل ذلك معنا فإنا مليئين بالكراهية ولم نعد في حاجة إليه.

قالت بيسي: إن الإله يحبنا كأبنائه.

سأل بيكر: إذا كان الإله يحبني فلِمَ أمات والدي؟

قالت بيسي: « يومًا ما ستفهم»

ويعلق بيكر قائلًا لكني لم أقتنع بما قالت، كما لم أجد ما أقول لها.

ويضيف يومها قررت أن الإله لا يبالي بنا عكس ما يقول كل من حولي، وقررت ألا أثق بالإله بعد ذلك اليوم، وفي سن الخامسة أصبحت متشككًا، بعدها لم أبك قط مخاطبًا الإله ولم أتوقع منه أي اهتمام ولم أعد أحبه.

وأشد الفترات تأثيرًا في الابن إذا مات أبوه هي الفترة العمرية من ٣: ٥ سنوات فهي السن التي تتعمق فيه العلاقة بالأب، إذ قبلها تكون العلاقة مع الأم غالبة، وبعدها تكون العلاقة مع الأصدقاء وهي كذلك السن التي يبلغ فيها الخوف والتعلق من فراق من نحب أقصاه. وأخيرًا هي السن التي تتكون فيها شخصية الطفل فيبدأ صراعه ضد الأب (عند المؤمنين بعقدة أوديب).

جـ- يؤكد بول فيتز أن دور التقصير الأبوي في تبني الإلحاد ليس دورًا حتميًا

يلزم الابن أن يتبنى الإلحاد. فهناك دائمًا مجال لحرية الإرادة والاختيار بين الإيمان والإلحاد، إن ذلك يعني أن التقصير الأبوي «ييسر» طرق الإلحاد.

ولإثبات دور فرويد» الإرادة والاختيار «قام بول فيتز بدراسة تحليلية نفسية لمفكرين وفلاسفة عانوا التقصير الأبوي لكنهم تبنوا الإيمان، ومن هؤلاء «سير أنتوني فلو» فقد أثبت السير أنه كان يكره أباه وتبنى الإلحاد في سن الخامسة عشر، وظل ملحدًا بل زعيمًا للإلحاد حتى تجاوز الثمانين من عمره. ثم راجع أنتوني فلو في سنواته الأخيرة أدلته العلمية والفلسفية وانتقل إلى الإيمان بالإله.

ومثله أيضًا «ك.س. لويس» الذي ظل ملحدًا حتى سن الأربعين ثم آمن بالمسيحية وصار أكبر رجال اللاهوت المسيحي في القرن العشرين، بل واعتبره الكثيرون قديسًا، معنى ذلك أن العوامل المساعدة لا تلغي المسئولية الفردية، سواء في الإلحاد أو في الإيمان أي أن وجود التفسير ليس عذرًا.

د – بالرغم من بساطة ووضوح نظرية التقصير الأبوي فلا ينبغي أن نتجاوز الصعوبات والآلام والتعقيد الذي يقف وراء كل حالة على حدة.

علينا أن نتفهم حجم المأساة التي يكون فيها الطفل يحبط في أبيه أو يكرهه، فالطبيعي أن الطفل يريد أن يحب أباه. ويتزايد حجم المأساة حين تدرك مدى معاناة الملحد النفسية والتي يعبر عنها أستاذ الرياضيات الأمريكي «جيفري لانج «بعد أن عرف الإيمان: «إلهي إن كنت أعود إلى الإلحاد فدعني أموت قبل ذلك».

لا شك أن الأسس النفسية للإلحاد معقدة للغاية، ولا شك أن التقصير الأبوي من أهمها ذلك المفهوم الذي وضع أسسه فرويد وفصله د. بول فيتز.

دراسة فيتز لظاهرة الإلحاد وتطبيقاتها على كبار الملاحدة:

إن الإلحاد الذي يقصده فيتز في الدراسة هو رفض الإيمان بالإله بالمعنى الذي تتبناه الديانات الإبراهمية، وهوالإله الذي يقيم حق الإنسان. وهذا المفهوم يختلف عن الإله بالمعنى الذي يقصده بعض الربوبيين باعتباره القوة المطلقة أو الذكاء المطلق.

ومثل كل الدراسات النفسية، اعتمد بول فيتز في دراسته على التأمل وتحليل سير مشاهير الملحدين سواء كانت سيرهم الذاتية التي كتبوها بأنفسهم أو تلك التي كتبها عنهم آخرون.

وتتكون مادة البحث (اختيار العينة) من مشاهير الملاحدة من كبار المفكرين خاصة الفلاسفة ممن مثل الإلحاد محورًا أساسيًّا في فكرهم ومكانتهم الاجتماعية ويعتبر معظمهم من مؤسسي وأعمدة الفكر الإلحادي المعاصر.

وقد استبعد بول فيتز من مادة البحث (سمات المستبدين) العلماء والفنانين، فالعلماء يلتزمون بالمنهج العلمي المادي في البحث، والفنانون مشغولون بإبداعاتهم ومن ثم لا يمثل لكلا المجموعتين قضية محورية.

وكأي دراسة علمية دقيقة محترمة استكمل بول فيتز مادته البحثية بمجموعة من المتدينين للمقارنة – المجموعة الحاكمة – وقد اختار فيتز هذه المجموعة من المتدينين الذين نشأوا في نفس المجتمعات وفي نفس الفترة التاريخية للملاحدة وذلك من أجل استبعاد تأثير الظروف الاجتماعية على إلحاد الملاحدة، ومن ثم يصبح العامل المؤثر الأساسي هو تربية الوالدين لصغارهم.

والآن جاء دور استعراض أهم الشخصيات – المادة البحثية – التي بني عليها بول فيتز نظريته وسنركز هنا على سبع مجموعات:

- ملاحدة مات أباؤهم أو هجروهم مبكرًا.
- ملاحدة كان آباؤهم قساة أو ضعفاء.
- كبار السياسيين الملاحدة.
- الملاحدة الجدد.
- الأب الملحد.
- الإلحاد بين الرجال والنساء.
- المتدينون وآباؤهم.

وبالمجموعة الأولى نبدأ:

شخصيات إلحادية مات آباؤهم أو هجروهم مبكرًا

١ - فريدريخ نيتشه: (١٩٠٠ - ١٨٤٤)

بدأ بول فيتز شخصياته الإلحادية بنيتشه باعتباره أشهر الملاحدة على الإطلاق، أجمع كل من كتب في سيرة الفيلسوف الألماني نيتشه أن آراءه الصادقة كانت انعكاسًا لشخصيته المعقدة، بل إن نيتشه نفسه أكد ذلك حين قال: «تتوقف فلسفة الفيلسوف على بنيته الشخصية، وفي حالة الإلحاد وبصفة خاصة تعتمد هذه الأفكار على الغريزة»، كان نيتشه شديد التعلق بوالده ووصف وفاته - في سن السادسة والثلاثين بعد أن ظل يعاني في العام الأخير من حياته من مرضًا عقليًّا - بأنها كانت الخسارة الكبرى التي لا يمكن نسيانها، وكان عمر نيتشه وقتها خمس سنوات ويصف نيتشه فيما بعد مشاعر العائلة يومها، لقد بكت أمه بشدة وشكت للإله أن زوجها قد مات، ويقول نيتشه: كنت أعلم أن الموت يعني الفراق التام فبكيت وحزنت بشدة وأدركت أنني أصبحت يتيمًا وأن أمي أصبحت أرملة ويصف نيتشه في طفولته بأنه لا يثق برحمة الله.

وفي سن الرابعة والعشرين كتب نيتشه يعبر عن احتياجه الشديد لوالده ولنصائحه وإرشاداته وبالرغم من حبه لأبيه في هذه السن، إلا أنه كان يعتبره ضعيفًا ومريضًا ولا يتمتع بقوة الحياة وقبل الانهيار العصبي الذي أصاب نيتشه – ولم يشف منه – كتب يقول: إنني مجهد وعصبي للغاية ولا شك أني ورثت هذه العلة عن أبي الذي مات نتيجة لافتقاده قوة الحياة، ويرجع نيتشه فقدان قوة الحياة عند والده إلى المسيحية فهكذا كان المسيح.

ويقف رفض نيتشه لضعف المسيحية وضعف والده وراء مفهوم «السوبر مان» الذي يسيطر على فلسفته فهو تعبير عن تبني القوة وتبني الصلابة. وقد استخدم نيتشه الوحش الأشقر للإشارة إلى الرجل الألماني القوي وقد انعكس ذلك المفهوم في إعجاب نيتشه بالإله اليوناني الوثني ديونيسيوس الذي يرمز لقوة الحياة.

وينعكس مفهوم السوبر مان أيضًا في اختيار نيتشه للمرأة وسعيه لتشويه صورتها، وظهر ذلك في قوله لأحدهم: إذا ذهبت للقاء امرأة لا تنس أن تأخذ معك سوطك – الكرباج – كما يظهر ذلك أيضًا حين يقول: تتجلى سعادة الرجل في قوله: «أنا سأفعل» أما سعادة المرأة تتجلى في قولها «هو سيفعل»، ومن دوافع نيتشه للبحث عن القوة في الذكورة قيام آن وعائلتها برعاية الأسرة والإنفاق عليها فأصبح حتى ذهب إلى المدرسة الداخلية في سن الرابعة عشرة يعيش في بيت مسيحي تشيع فيه المفاهيم المسيحية والأنثوية (أمه – أخته الصغرى – جدته – عماته) وقد صور له هذا البيت أن مفاهيم المسيحية – بما فيها من ضعف وخضوع – خاصة بالنساء.

وفي مدرسة البلدة وجد نيتشه صعوبة في التعامل مع الأولاد الآخرين، وكانوا يسخرون منه ويصفونه بالقس الصغير لجديته وقدرته على التحكم في نفسه وسلوكه النفسي وزاد من هذا الانطباع عدم مشاركته للأولاد في

ألعابهم بسبب ميوله الانعزالية ومعاناته الصحية المتكررة وإصابته بقصر النظر.

وللتغلب على ما واجهه من مصاعب اجتماعية في سنه الصغيرة، كان نيتشه يحرص على تنمية إرادته والاشتهار بذلك فعندما أراد أن يظهر شجاعته للأولاد الآخرين، أخذ مجموعة من عيدان الكبريت وأشعلها ووضعها في كفه حتى سقط أحدها من يده بعد إصابتها بحروق سيئة.

والمطالع لسيرة نيتشه الذاتية يلاحظ تعارضًا قويًّا بين فلسفته المفرطة في الذكورية القاسية حتى إنه يقول: «إنني بطبيعتي أحب الحرب، والهجوم إحدى غرائزي «وبين حقيقته كشخص محافظ مفكر كثير المرض والشكوى من الصداع وآلام المعدة وأعراض مرضية أخرى ترجع إلى إصابته بمرض الزهري الجنسي وكثيرًا ما كانت هذه الأمراض تقعده في الفراش وتقوم أمه وأخته الصغرى برعايته، لذلك فإن هذه الفلسفة الذكورية القاسية ليست إلا قناعًا تختفي وراءه حقيقة نيتشه المحافظة وأيضًا الضعيفة، ويمكن فهم فلسفة نيتشه باعتبارها صراعًا رهيبًا للتغلب على ضعف والده المسيحي المشوب بالخوف؛ ذلك الخوف الذي عبر عنه نفسه في رؤيا رآها بعد موت والده بستة أشهر فقد رأى أجراس الكنيسة تدق ووالده يخرج من القبر يدخل الكنيسة ويعود منها حاملًا طفلًا صغيرًا إلى القبر بعدها بأيام قليلة مات أخوه الأصغر جوزيف.

تبين سيرة نيتشه أن حياته وفلسفته الإلحادية كانت رد فعل فكريًّا عنيفًا ضد موت أب مسيحي متدين كان الابن يحبه، وفي نفس الوقت يعتبره ضعيفًا مريضًا. لقد كان أبوه يمثل قوة الموت وهو نقيض مثال السوبر مان الذي تبناه نيتشه والذي يمثل قوة الحياة لذلك يمكننا اعتبار فلسفة نيتشه عن السوبر مان بحثًا عن الأب المثالي الذي افتقده.

٢ - آرثر شوبنهور (١٨٦٠-١٧٨٨):

تقوم فلسفة شوبنهور على النظرة التشاؤمية للحياة، حتى إنه لُقِّب بـ «المتشائم الكبير».

كان والد الفيلسوف الشهير شوبنهور تاجرًا ثريًّا مشهورًا وكان مهتمًّا بمعالم الفكر خاصة كتابات فولتير، وبالرغم من كثرة سفر الأب في تجارته وانشغال الابن بالمدرسة فقد كانت علاقتهما قوية، وربما كان الخلاف الوحيد بينهما هو رغبة الأب في أن يصبح ابنه تاجرًا مثله وقد اضطر أن يطيعه، وربما كان لموت الأب ميزة واحدة وهو أنه سمح لشوبنهور بدخول عالم الفلسفة.

وفي عام ١٨٠٥، حينما كان شوبنهور في السابعة عشرة من عمره، مات الأب وأشيع أنه انتحر، بأن قفز من شباك الطابق الثالث في بناية إلى قناة مياه ملاصقة، وقد وصف شوبنهور يوم وفاة أبيه بأنه أحلك يوم في حياته.

وأما علاقة شوبنهور بأمه فكانت سلبية للغاية حتى قال أحد المؤرخين لسيرته: إنه لم يحصل على الحب الأول - حب الأم -. لم تكن أمه راغبة في إنجابه، وكانت تعتبر أنه قد حد من حريتها، لذلك كان يعقها بشدة، وبالرغم من أن أم شوبنهور أعلنت أن أباه قد انتحر، إلا أنه حملها مسئولية دفعه للانتحار، لقد كره شوبنهور النساء؛ فلم يتزوج، وقطع علاقته بأخته، ولم يقم معهن أية صداقات.

يصف شوبنهور طفولته بأنها كانت باردة يملؤها الخوف والوحدة، وكانت المربيات والخادمات يتولين تربيته وتمثل الفترة العمرية من ثماني سنوات - بداية اهتمام والده به - إلى الثامنة عشرة - انتحار والده - الفترة الوحيدة السعيدة في حياته.

ويصف شوبنهور دخوله عالم الإلحاد ويرجع ذلك إلى أنه كان دائمًا شديد

الاكتئاب والتشاؤم، وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره تساءل: أهذا هو العالم الذي صنعه الإله؟ إنه لا يكون إلا صناعة الشيطان. كان شوبنهور شديد الشعور بالوحدة لما عاناه في طفولته من إهمال أمه ثم فقدان أبيه. كان يري أن كل شيء في الحياة تافه، وأنها فراغ ولا معنى لها، وليست إلا حزمًا من المعاناة، وربما كان فقده المشاعر وراء اهتمامه بالفكر البوذي الذي يقوم على العدم ورفض كل الرغبات، خاصة تعلق الإنسان بالدنيا والأشياء والآخرين وحبه لهم.

لقد عاش شوبنهور حياته دون أن يتعلق بأحد، ومن ثم لا عجب أن أنكر الإله وأنكر عالم الغيب كله.

٣ - ديفيد هيوم (١٧٧٦ - ١٧١١):

كان ديفيد هيوم ملحدًا في وقت كان للإلحاد مخاطره الاجتماعية والسياسية وهو كان أستاذ تاريخ استكلندي.

ويعرف المؤرخون القليل عن طفولة هيوم وحياته، ومما نعرفه أنه نشأ في عائلة على قدر من الشهرة والثراء، وكان الكثير من رجالها محامين، وكانت علاقة ديفيد جيدة بأمه وأخيه الأكبر وأخته الصغرى، تربى هيوم كمسيحي وترك الدين في شبابه المبكر بعد أن قرأ «لجون لوك» و«صمويل كلارك»، والمتابع لفلسفة هيوم يجد أنه كتب في رفض الديانات أكثر مما كتب في الموضوعات الأخرى.

والغريب أن من كان يرفض أفكار هيوم وفلسفته لا يملك إلا أن يحيه إذا تعامل معه، فقد كان لطيفًا ومهذبًا، والذي يعنينا أن والد ديفيد مات ولم يبلغ الثانية من عمره ولم يأت في سيرته أن أحد رجال عائلته قد تابع تربيته.

٤ - بستراند رسل (١٩٧٠-١٨٧٢):

هو بلا شك أشهر الملاحدة الإنجليز، وقد انتقد المسيحية بشدة

بسبب ما لاقاه من تشدد وتعنت رجال الدين، كان والد رسل من الطبقة الأرستقراطية، وكان على اهتمام بالسياسة خاصة اتجاهها الراديكالي، وقد تربى والده لورد، وربى رسل تربية دينية ثم تبنى الفكر الحر في شبابه وألقى المسيحية من الشباك.

مات والد فيلسوفنا وعمره أربعة سنوات، والذي جعل الأمر يزداد سوءًا أن والدته كانت قد ماتت وهو في الثانية من عمره، ثم تربى في بيت جده الذي مات وهو في السادسة، وقامت بالإشراف على تربيته بعد أمه وأبيه وجده جدته التي كانت مسيحية متشددة، وقد تتابعت على تربيته مجموعة من المربيات ماتت أقربهن إليه وهو في سن الحادية عشرة.

وبالرغم من نشأة رسل في وسط متدين، فقد تبنى الإلحاد في سن مبكرة، كرد فعل لكرهه المسيحية التي قدمتها له جدته. وفي نفس الوقت تروي ابنته في مذكراتها أنها تعتقد أن مكانًا ظل شاغرًا في قلب والدها لم يستطع شيء أن يملأه، وأنه ظل طوال حياته دائم البحث عن الإله بعد أن رفض إله المسيحية المتجسد. وكرد فعل لموت كل من أشرفوا على تربيته وأحبهم، كان رسل يعلن أنه يشعر بالضياع وأنه يبحث عن الأمان واليقين بنفس الدرجة التي يشتهي بها الآخرون الإيمان الديني، وكرد فعل لهذا الضياع كان رسل انطوائيًّا انعزاليًّا كثير التأمل والحب للطبيعة، فأحب القمر والنجوم والسماء والبحر أكثر من أقرب الناس إليه، ولم يكن يجد سلواه إلا في القراءة ولا شك أن إنسانًا يرفض العلاقات والعواطف الإنسانية يكون رافضًا للعلاقة بالإله.

ويوصف رسل بأنه رجل المتناقضات وظهر في تساؤله، ويعتبر الفيلسوف الفرنسي الشهير أحد أشهر الملاحدة في القرن العشرين وتقوم «الفلسفة الوجودية» التي أسسها سارتر على الإلحاد، ويمكن تلخيص أفكارها في:

«إذا أنكر الإنسان الإله فلا بد من الإيمان بمصدر آخر يحدد لنا قيمنا، وإذا قلنا إننا نحن الذين نحدد القيم فذلك يعني شيئًا واحدًا هو لا معنى ولا وجود يسبق وجودنا، أي أنه قبل وجودك كانت الحياة لا شيء، ومثلما أنك أنت الذي تحدد القيم التي تريدها، فلك أن تعطي الحياة المعنى الذي تريده».

٥ - جان بول سارتر: (١٩٠٥ - ١٩٨٠)

وإذا تأملنا حياة سارتر وجدنا أن والده مات وقد بلغ من العمر خمسة عشر شهرًا، وبعد موته عاش سارتر وأمه مع والديها، وكان جده يتابع تعليمه لكنه كان ذا شخصية ضعيفة ولم تكن العلاقة بينهما قوية، وفي المقابل توثقت العلاقة بين الطفل وأمه إلى أبعد حد، فكانت ترعاه في كل شيء مما نما العلاقة الأوديبية، لم يدم هذا الحلم الأوديبي كثيرًا، فقد انتهى بزواج الأم الأرملة وهو في سن الثانية عشرة، واستقلت في بيت منفصل مع زوجها وبالرغم من جهود زوج الأم للتقرب من الطفل سارتر فقد رفضه بشدة، لقد ترك هذا الزواج في نفسه جرحًا عميقًا لم يندمل طوال حياته.

لقد نشأ في رعاية أمرأة، أما الرجال فقد كانوا مثالًا للتقصير؛ فأبوه مات وهو طفل صغير، وجده الذي حل مكان أبيه كان ضعيفًا، وزوج أمه استولى على أمه المحبوبة.

لذلك لم يمض على زواج أمه سوى عام واحد حتى أعلن الصبي سارتر إلحاده، وفي سيرته الذاتية يعلن سارتر أن موت أبيه كان حدثًا طيبًا كما ورد في رواياته أن الآباء عبء يطعنون أبناءهم، ولا يتركون لهم فرصة ليصنعوا أنفسهم، لذلك تكررت في هذه الروايات عبارات مثل: (أريد أن أقتل الأب داخلي - لا يوجد أب طيب- لا تعتب على شخص بل اعتب على رابطة الأبوة العفنة).

وهل جرب سارتر الأبوة ليعرف عنها هذه السوءات؟ لا تفسير لهجوم

سارتر الشرس على الأبوة طوال حياته الفكرية إلا اعتراضه الشديد على يتمه.

باختصار كان موت والد سارتر مؤلمًا للغاية، حتى إنه أنفق حياته كلها يحاول إنكار تأثره بهذا الحدث، وقد كان تأسيس «الفلسفة الوجودية» هو آلية دفاعه النفسي فهي تقوم على أن غياب الإله (الأب) هو البداية لتشكيل حياة جيدة طيبة فاضلة.

ولا ينسدل الستار على حياة سارتر (مثل مسرحياته) إلا على مفاجأة، بينما هو على فراش الموت، طلب سارتر من رفيقته سيمون دي بوفوار أن تأتي له بكاهن ليعترف له؛ ليموت على المسيحية، وقد ترجع أهمية هذا الموقف في سياق كتابنا إلى أنه يثبت «حرية الإرادة الإنسانية» بالرغم من الخلفيات النفسية الدافعة لتبني الإلحاد، فبالرغم من أن تنشئة سارتر قد وجهته طوال أكثر من سبعين عامًا إلى طريق الإلحاد فإنه راجع موقفه في الساعات الأخيرة من حياته واختار بكامل إرادته الحرة طريقًا آخر.

ويرفض البعض اعتبار موقف سارتر تعبيرًا عن الإرادة الحرة ويرجعونه إلى الخوف من مواجهة الموت وهو ما عبر عنه المثل الإنجليزي القائل: «لا يوجد ملاحدة في خنادق الحرب».

وإذا كنا نوافق على أن مواجهة الموت قد تدفع الإنسان للإيمان بالإله فذلك لا يمنع أن هذا الاختيار يتطلب حرية إرادة بدليل أن العديد من الملاحدة ماتوا على إلحادهم ولم يذكر عنهم التاريخ أنهم قد غيروا مواقفهم، وقد نُقل عن سارتر أنه كان يعيد النظر في موقفه في السنوات الأخيرة من حياته وليس فقط وهو على فراش الموت، ففي لحظات من الشك في الإلحاد، صرح الفيلسوف الكبير قائلًا: «لا أتحمل أن أرى نفسي كومة من التراب الذي ظهر بالصدفة في الكون، إني أري نفسي كائنًا محسوبًا حسابه سبق

تقديره استدعي لغاية كائن لا يوجد إلا كخلق لإله حكيم، إن هذا يتعارض مع الكثير من آرائي لكنها فكرة تطفو على السطح كل حين وآخر، إن هذه الفكرة تدفعني لأن أعيد النظر في منظومتي الفكرية».

وبالفعل أعاد سارتر بناءه الفكري وهو على فراش الموت.

الملاحدة وآباؤهم

(الملاحدة كان أباؤهم قساة أو ضعفاء)

من أشهر أسباب الإلحاد النفسية ملاحدة كان آباؤهم قساة أو ضعفاء

١ - سيجموند فرويد: (١٩٣٩ - ١٨٥٦)

اخترنا أن نبدأ هذه الشخصيات بالتحليل النفسي الذي طرحه بول فيتز لشخصية فرويد، باعتباره الأب المؤسس للتحليل النفسي، بالإضافة لكونه من أشهر الملاحدة في العصر الحديث.

كان سيجموند فرويد شخصية غامضة شديدة التعقيد ويجمع كل من كتب عنه أنه كان مقاتلًا شجاعًا حتى إنه تصدى جسديًّا في شبابه (باعتباره يهوديًّا (للمعادين للسامية، وكان يعجب بالمقاتلين كما كان مقاتلًا شرسًا كأحد كبار المفكرين الملاحدة، فما علاقة ذلك بعلاقته بوالده؟

لم يكن جاكوب والد فرويد مثيرًا لإحباط ابنه فحسب، بل كان أسوأ من ذلك لقد كان ضعيفًا عاجزًا عن إعالة أسرته؛ فتولت عائلة زوجته وآخرون الإنفاق على الأسرة.

كما كان جاكوب سلبيًّا تجاه عداء المجتمع لبني دينه اليهود (معاداة السامية)، وقد روى الأب لابنه موقفًا يشين حين وصفه أحدهم باليهودي القذر وألقى قبعته على الأرض، ويحكى فرويد كيف أنه شعر بالخزي إذ لم يصدر عن أبيه رد الفعل المناسب دفاعًا عن شرفه.

ويظهر تقصير جاكوب كأب بشكل أعمق في علاقته المباشرة بأبنائه، فقد ذكر فرويد في خطابين له أن والده كان منحرفًا جنسيًّا وأمه وأبناءه قد عانوا من ذلك.

كذلك أثرت علاقة جاكوب بالإله وبالدين في ابنه، فيروي فرويد أنه في صباه كان يقضي الساعات مع والده في قراءة الإنجيل وبعد ذلك اهتم جاكوب بالتلمود وبالكتب اليهودية.

باختصار لقد كان هذا الأب الضعيف الجبان المنحرف جنسيًّا مثلًا سيئًا لابنه، ونتيجة لذلك جعل فرويد كرهه لأبيه محور نظرياته في الطب النفسي وعبر عن ذلك بقوله في سيرته الذاتية: «يرينا التحليل النفسي يوميًّا كيف أن الصغار يفقدون إيمانهم بالإله بمجرد أن تنهار سلطة الأب واحترامهم له».

٢ - فولتير Voltaire (١٧٧٨- ١٦٩٤):

طرحنا في الفصل السابق عنه حديثًا عن عقدة أوديب مختصرًا لعلاقة فولتير السيئة بأبيه، والتي وصلت إلى حد رفض حمل اسمه وادعى أنه ليس أباه، وانتسابه إلى أحد الشعراء النبلاء، كما رأينا أثر هذه العلاقة السيئة فيما تبناه فولتير من أفكار وفلسفة وما طرحه من أعمال مرضية وفكرية.

٣ - لودنيج فيورباخ (٨٧٢ - ١٨٠٤):

كان الفيلسوف الألماني الكبير فيورباخ أول من صاغ نظرية الإسقاط التي تلقاها فرويد وألبسها ثوب التحليل النفسي وروج لها، وقد كان ملحدًا متعصبًا حتى لقب بـ «ضد المسيح»، ولد فيورباخ لعائلة ألمانية عريقة وكان والده» آن لم» قانونيًا ضليعًا مشهورًا وما زال يذكر بين القانونين الكبار حتى اليوم. وكان «آن لم» بروتستانتيًّا متحررًا لكنه كان عصبيًّا مدمنًا للخمر، موسوسًا وصعب المعاملة حتى لقب بلقب «فيزوفي» نسبة إلى البركان الشهير متكرر الفوران في إيطاليا.

ولا شك أن الحادث الأكثر تأثيرًا في حياة فيروباخ هو ما وقع عام ١٨١٣

حين كان في التاسعة من عمره لقد كان والده عاشقًا لزوجة أحد أصدقائه ورحل معها إلى مدينة أخرى وأنجب طفلًا أسماه باسمه وعاش معها حتى ماتت عام١٨٢٢، بعدها عاد الأب إلى أسرته.

إن هذا الموقف خاصة في المجتمع الأرستقراطي في ألمانيا في ذلك الوقت يمثل فضيحة كبيرة تركت في نفس فيورباخ جرحًا لم يندمل، وقد حدث ذلك في الفترة العمرية من ٩: ١٩ سنة وهي الفترة التي نتعلم فيها أن نحترم أو لا نحترم آباءنا.

٤ - كارل ماركس Karl Marx (١٨٨٣ - ١٨١٨):

تبنى ماركس النظرية التي أطلقها فيورباخ عن الإله إنه «إسقاط « لرغبة الإنسان في تقديس ذاته واعتبر أن الدين عملية مكتسبة متطورة مثل كل النشاطات الاجتماعية.

كان والد كارل ينتمي إلى عائلة يهودية، لكنه تبنى المسيحية بعد أن أدرك أنها توفر حياة أفضل في ظل ظروف المجتمع، وبالرغم من عدم وجود صراع بين كارل ووالده فإن موقفه هذا قلل من احترامه له وللطبقة البورجوازية التي ينتمي إليها، وقلل أيضًا من احترامه للديانات بصفة عامة بالرغم من أنه ظل يعتمد على دعم والده المادي.

لقد فرغ ماركس موقفه هذا من أبيه بكل ما يمثله (رمز السلطة الإلهية - رمز بورجوازي - تدني منزلة الدين) في النظرية الماركسية التي طرحها والتي تتخذ من الإلحاد محورًا لها.

٥ - هـ.ج. ويلز H.G Wells :(١٩٤٦ - ١٨٦٦):

هو الكاتب والفيلسوف الاجتماعي الإنجليزي الكبير، كان عظيم التأثير في الثقافة العامة في العقود الأولى من القرن التاسع عشر حتى إن كتبه أدت

إلى أن تبنى البعض الإلحاد وأن يكتب آخرون مفندين له.

ولد «هـ.ج. ويلز» لأبوين من الطبقة العاملة وكان أبوه بستانيًّا وبعد زواجه بستة أشهر فقد أبوه عمله واقترض أموالًا أنشأ بها محلًا تجاريًّا، ثم أهمل الوالد المحل وانشغل بلعب الكريكت والمراهنة عليه ولم يترك لأسرته إلا أقل الوقت، بل إنه فكر في بيع المحل لينطلق وحده إلى مكان جديد يبدأ فيه حياته، وأصبحت زوجته هي التي تهتم بالبيت والمحل.

وقبل مولد ويلز بعامين، ماتت أخته في سن التاسعة فجأة بسبب انفجار الزائدة الدودية، انهارت الأم انهيارًا تامًّا واعتبرت مسئولة عن موتها، ثم لامت زوجها الذي لم تجد منه الدعم في مواجهة هذه الكارثة. عاشت الأم تكتنفها المرارة والنكد وانهار إيمانها بالإله.

وبسبب ما مر بالأسرة من مصائب (موت أخته - انهيار إيمان أمه - سلبية أبيه وعدم دعمه لأمه) ثارت في نفس ويلز كراهيته شديدة للإله، وقد صرح بذلك حين وصف حالة أمه وهي تستنجد بالإله في دعائها، وأيضًا وهي تستنجد بزوجها في خطاباتها فيعلق قائلًا إنها لم تجد الإجابة من كليهما فهما غير موجودين.

وبعد موت الأب لم تعكس كتابات ويلز حزنًا ولا ضيقًا لفراقه.

كبار السياسين الملاحدة:

١ - جوزيف ستالين: (١٩٥٣ - ١٨٧٨)

يلخص أحد أصدقاء ستالين المقربين والذي عرفه منذ الطفولة علاقته بأبيه قائلًا لقد جعلت العقوبات الشديدة غير المبررة التي كان يمارسها الوالد على ابنه ستالين إنسانًا قاسيًا لا قلب له، وجعلته يعتقد أن كل أصحاب السلطة يكونون هكذا، مما جعله يكره رؤساءه.

بالإضافة إلى ذلك كان والد ستالين كثير الغياب في المدن المحيطة في بعض أعماله، وفي أثناء تواجده كان يشرب الخمر بشراهة ويضرب أمه التي كان ستالين ملتصقًا بها ويحبها كثيرًا، وقد أراد هذا الأب الشرس أن يصبح ابنه عاملًا في مصنع أو إسكافيًّا.

كذلك عانى ستالين مشكلات أخرى يعانيها بعض الأطفال كالجدري الذي تركه بعاهة على وجهه وإصابته في حادث ترك عاهة مستديمة في ذراعه الأيسر.

لقد عجزت والدة ستالين عن حماية ابنها الوحيد الباقي على قيد الحياة بالحنان وحمته من أن يحطم والده نفسيته كما دفعت ابنها للإلحاد بالكنيسة الأرثوذوكسية، وفي الوقت نفسه دفعته دراسته في المدرسة للإلحاد. وقد تخلى ستالين عن اسم عائلته الأصلي وتسمى باسم (Stalin) بالكلمة الروسية المقابلة لـ Steel = الصلب.

وكزعيم سياسي بطش ستالين بالكنيسة الأرثوذوكسية بشدة، وقتل عشرات الآلاف من رجال الدين بطرق قاسية للغاية حتى صار المثل الأعلى لكل من انتهج أسلوبه من الشيوعيين.

٢ - أدولف هتلر (١٩٤٥ - ١٨٨٩):

مثل ستالين كان هتلر يتلقى عقوبات شديدة غير مبررة من أبيه الذي كان يوصف بأنه متسلط أناني لا يهتم بزوجته الأصغر منه كثيرًا ولا يتفهم أبناءه، وكان قاسيًا مع الجميع غير متعاطف ضيق الخلق. وكان لهتلر أخ غير شقيق من أبيه أكبر منه وكان أبوه يعذبه بلا رحمة، ففر من البلدة ولم يعد إلا بعد موت الأب، وامتد إيذاء الأب إلى زوجته وإلى كلبه وبعد فرار الأخ تحمل هتلر كل قسوة الأب، مات الأب وهتلر في عامه الرابع عشر واستكملت الأم تربيته دون وجود لشخصية أبوية أخرى، وكان لهتلر ثلاثة إخوة من أمه ماتوا

في طفولتهم.

مثل ستالين دفعت أم هتلر إلى الكنيسة التي أصبح رافضًا لها في سن النضج حيث لم يقل هتلر كلمة طيبة عن المسيحيين. أما موقفه الكاره الحاقد على اليهودية فمشهور وغني عن الوصف ومع ذلك فقد احتفظ بقدر من الإيمان بالإله.

وقد تأثر هتلر بفيلسوفي العلمانية والإلحاد الكبيرين» شوبنهور» و»نيتشه» كما كان محبًّا لهما ناقلًا عنهما عاشقًا لدفاعهما عن الحرية الإنسانية المطلقة.

وإذا كان البعض يرجع كراهية هتلر للمسيحية إلى جذورها اليهودية وقيودها على الحرية الإنسانية، فإن بول فيتز يضيف سببًا آخر لهذا الكره وهو رفضه للإله الذي تقدم المسيحية باعتباره «الأب» الذي يكرهه هتلر من أعماقه.

٣ - ماوتسي تونج (١٩٧٦ - ١٨٩٣):

لم يحمل ماو أية شاعر سلبية تجاه المسيحيين أو تجاه الإله باعتباره أبًا، فهذه المفاهيم كانت بعيدة عن بيئته الصينية. لكن طبيعة ماو الثورية وفلسفته الإلحادية كانت ترجع بشدة إلى علاقته بأبيه وكراهيته الشديدة له فقد كان والد ماو يوصف بطاغية العائلة Tyramt، وكان ماو وأمه وإخوته دائمي التمرد على أبيهم لذا نقول: إن كراهية ماو للسلطة وتمرده عليها يرجع إلى ظروفه العائلية.

ونختم وقفتنا مع إلحاد الطغاة بأن نؤكد أنه غير موجه في المقام الأول إلى رفض الإله عقليًّا ونفسيًّا بل إلى رغبة هؤلاء في الاستحواذ على السلطة، وقد رأينا كيف أن هذه الرغبة في الاستحواذ يقف وراءها منظور التقصير الأبوي.

الملاحدة الجدد

كان الملاحدة الأولون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من المفكرين والصفوة، وكانت الأفكار الإلحادية غير مطروحة إلا في الجامعات وبين المهنيين.

أما اليوم فالإلحاد يشمل دوائر أوسع كثيرًا من العامة، ويرجع ذلك إلى وسائل الإعلام ووسائل التواصل الحديثة وإلى أن الأفكار الإلحادية وجدت تربة صالحة بين طبقات كثيرة من المجتمع كالشيوعيين وكالباحثين عن اللذة، وفي عام ٢٠١٠ كتب الإعلامي الكبير توم فلين مقالًا وضع الإلحاد الجديد في حجمه الحقيقي، جاء فيه:

ينبغي أن ندرك خطأ ما يثار حول حركة الإلحاد الجديد، فهي ليست جديدة ولا هي حركة! الجديد هو إثارة عاصفة عن طريق تركيز ناشرين كبار على طباعة وتسويق عدد كبير من الكتب الإلحادية حتى قرأها الملايين واحتلت قوائم أعلى المبيعات.

وبالرغم من ذلك فقد لاقى الإلحاد الجديد شيوعًا وقبولًا في الغرب لعدة أسباب أهمها:

١ - انهيار مؤسسة الأسرة وما صاحب ذلك من شيوع نموذج التقصير الأبوي واختلال نموذج الأم.

٢ - شيوع الفلسفة المادية المعاصرة والنسبية الأخلاقية.

٣ - نشاط الناشرين والإعلاميين المستفيدين من الترويج لهذا الفكر.

وقد استقر على رأس الإلحاد الجديد ملاحدة أربعة، نعرض فيما يلي تحليل بول فيتز لظروف نشأتهم لنرى مدى تأثيرها على تبنيهم للإلحاد.

١ - ريتشارد دوكنز: (١٩٤١)

ولد دوكنز في كينيا لأب يعمل بالجيش الإنجليزي وهو ابنه الوحيد، وعندما عادت الأسرة إلى إنجلترا ألحق دوكنز بمدرسة Oundle وهي مدرسة داخلية شهيرة ملحقة بالكنيسة الإنجيلية الإنجليزية، وكان مستواه الدراسي جيدًا وعرف في المدرسة بحبه للبيولوجيا.

ويضيف دوكنز علاقته بالكنيسة بأنه كان مسيحيًّا عاديًا حتى بداية العشرينات من عمره حين أدرك أن تطور داروين هو التفسير الأنسب لتنوع الكائنات الحية.

لقد أثرت هذه النشأة على دوكنز من خلال عدة عوامل:

١ - كان التحاقه بالمدرسة الداخلية يعني انفصاله عن والديه في العمر الذي تكتمل فيه نظرته لأبيه وأمه وعلاقته بالآخرين (نظرية الارتباط).

٢ - في أثناء وجوده في المدرسة، كان يجبر على حضور صلوات الكنيسة ضد رغبته.

٣ - في الحادية عشرة من عمره بينما كان تلميذًا في المدرسة الكنسية تعرض للتحرش الجنسي من أحد مدرسيه، وقد صرح دوكنز بنفسه بذلك في حوار مع مجلة التايمز في ٧ سبتمبر٢٠١٣، والعجيب أنه رفض أن يدين هذا التصرف - كما تقول المجلة - والأغلب أن هذه التجربة قد تركت في نفسه أثرًا سيئًا للغاية وموقفًا شديد العداء للدين.

من ذلك يمكن القول أنه قبل أن يدرك دوكنز الحجج العلمية والمنطقية وراء الإلحاد كان لديه بالفعل موقف نفسي ضد الدين مما مهد لتحوله إلى إلحاد.

٢ - دانييل دينيت: (١٩٤٢)

ولد الفيلسوف دينيت في بوسطن وهاجر مع عائلته إلى لبنان في أثناء الحرب العالمية الثانية ومن هناك سافر أبوه في مهمة للحكومة الأمريكية ومات في حادث طائرة. وقتها كان دينيت في الخامسة من عمره وهي سن شديدة الخطورة ففي هذه الفترة تتكون الرابطة بين الطفل وأبيه.

عاد دينيت مع أمه إلى أمريكا، ويقول عن حياته الجديدة: «في صباي كان عدد من أصدقائي أبناء لأساتذة بارزين في جامعتي هارفارد وإم.تي، وقد أفسدتهم هذه المميزات لما كانوا يلقونه من معاملة خاصة ولا شك أن مثل هذه المعاملة كانت ستفسدني لو كان أبي حيًّا».

لا شك أن هذا التفسير هو نوع من التبرير والإنكار لما يعانيه بسبب فقد أبيه.

٣ - كريستوفر هتشنز: (١٩٤٩-٢٠١١)

الصحفي الإعلامي الأمريكي، إنجليزي المولد، اشتهر بمعاداته للأديان وبهجومه على الأم تريزا، ومات مصابًا بسرطان المريء.

ينطلق إلحاد هتشنز من أن الإيمان بالإله يحطم حرية الإنسان، لذلك تبنى في كتاباته -بالإضافة للإلحاد - مهاجمة كل أشكال السلطة وكان مهتمًا بالعمل الاجتماعي ثم تركه بعد أن أصبحت الجماعات الاجتماعية مركزًا للسلطة واتجه للدفاع عن حقوق الإنسان.

أما حياة هتشنز الخاصة فكانت عاصفة؛ كان والده ضابطًا في البحرية البريطانية، وكانت العائلة دائمة التنقل بين القواعد البحرية وبعد انتهاء خدمته التحق بعدد من الوظائف المحاسبية في شركات صغيرة، ويصف هتشنز والده بـ « الكوماندا» وبأنه قليل الكلام - وربما يفسر ذلك كراهية

هتشنز للسلطة -، وكانت علاقته بوالده ضعيفة لوجوده في مدرسة داخلية من سن ٨ : ١٨ سنة ولما كان والده بين المعجبين بالرياضة والرياضيين فقد سبب عزوف هتشنز عن الرياضة جفاء بينهما، إلا أن هتشنز ظل يحترم أباه بسبب إنجازات الأسطول البريطاني ضد ألمانيا النازية، وكانت العلاقة بين هتشنز ووالدته اليهودية قوية وكانت هذه السيدة تضخم من حياة زوجها العسكرية وكانت تبحث عن حياة أكثر إثارة، وعندما بلغ هتشنز العشرين من عمره تركت والدته والده وتزوجت من رجل دين إنجيلي يصفه هتشنز بأنه شاعر ورجل حالم.

وعندما بلغ هتشنز الرابعة والعشرين من عمره عثر على والدته وزوج أمه ميتين في فندق بأثينا بعدما تناولا معًا حبوبًا سامة، ومع ذلك اعتبر هتشنز أن زوجها مسئول عن موتها وقتها وكتب هتشنز يقول: «لم يعد لي عائلة» بالرغم من أن أباه كان حيًّا.

وقد انعكس انتحار الأم على كتابات هتشنز مظهر الانتحار في كتاباته الغزيرة وأسماه «ذبح النفس»، وهو اصطلاح استخدمه شكسبير على لسان هاملت في مسرحياته الشهيرة، لقد كان والد هتشنز وزوج أمه الرجلين الممثلين للأبوة في حياته ولم يحصل أي منهما عنده على الاحترام الكافي الذي يمكن أن يبني عليه احترامه للإله.

٤ - سام هاريس: (١٩٦٧)

كان طبيب المخ والأعصاب سام هاريس متعاطفًا مع البوذية كديانة غير إلهية؛ وذلك لاهتماماتها الروحية، وكان ناقدًا لاذعًا للمسيحية واليهودية والإسلام، وقد نشأ في عائلة علمانية لا تهتم بالأديان، وهاريس حريص على ألا يعرف عن نشأته شيء ومن ثم فالمتاح من المعلومات غير كاف للحكم عليه.

- الأب الملحد:

في المجموعات الأربع السابقة عرضنا لشخصيات كان للتقصير الأبوي فيها دور رئيسي «غير مباشر» في تبني الابن للإلحاد، والآن نطرح دور التأثير الأبوي المباشر بمعني أن يكون الأب ملحدًا في نفس الوقت محل حب وإعجاب الابن فيدفع ذلك الابن والبنت مباشرة للإلحاد.

جون ستيورات ميل: (١٨٠٦- ١٨٧٣)

لا شك أن من أفضل الأمثلة لتأثير حب وإعجاب الابن بأبيه الملحد هو شخصية الفيلسوف والاقتصادي البريطاني الكبير جون ستيورات ميل.

كان جيمس ميل (١٨٣٦ - ١٧٣٣) والد جون فيلسوفًا ومؤرخًا ورجل اقتصاد كبير ومشهور، وفي بداية شبابه درس جيمس الفلسفة والإلهيات وحصل على ترخيص بالوعظ، ومع ذلك تبنى الإلحاد بسبب مجادلة الشر والألم.

تلقى جون سيتورات ميل تعليمه بشكل كامل على يدي أبيه فتعلم اليونانية في الثالثة من عمره، واللاتينية في الثامنة، وفي سن الرابعة عشرة كان قد قرأ كل كلاسيكيات هاتين اللغتين، وقد قرأ أيضًا التاريخ ودرس الرياضيات والمنطق، وقد أعجب جون بالفلسفات الراديكالية التي يتبناها والده وأصدقاؤه المفكرون، ويكشف لنا جون أن تعليمه كان موجهًا للعلوم المنطقية والعقلية على حسب العلوم التي تهتم بالمشاعر والانفعالات كالشعر والأدب، لقد ظل جون طوال حياته مروجًا للمدرسة الفلسفية والأفكار الاجتماعية التي تبناها والده.

والمدهش أن كتابات الأب جيمس التي نشرت بعد وفاته كانت أقل رفضًا للإله من تلك التي نشرها في حياته بل إنه كان في بعض الكتابات يقبل

بعض الأدلة والشواهد على المفاهيم الغيبية للديانات.

ولعل أهم ملمح في سيرة جون سيتورات ميل ما ذكره فيما بعد من «أن تعليم أبيه الملحد له وتعلقه به لم يدعا الإيمان اختيارًا مطروحًا».

لذلك عندما استشعر ميل الحاجة إلى المفاهيم الغيبية لم يطرق باب الدين بل طرق أبواب غيبيات أخرى كاليوجا وقراءة الفنجان وغيرها وهو ما يسميه أستاذنا الدكتور عبد الوهاب المسيري - رحمه الله - » ميتافيزيقا بغير تكاليف».

تمثل سيرة هذين الشهيرين جون سيتورات ميل وأبيه جيمس نموذجًا لكيف يتلبس الابن شخصية أبيه الملحد تمامًا مثلما يتلبس شخصية أبيه المؤمن، وهذا التأثير المباشر يختلف عن التأثير غير المباشر للتقصير الأبوي.

وربما يكون فيلسوف الوجودية الفرنسية «سيمون دي بوفوار» مثالًا جيدًا آخر لدور الأب الملحد، وسنتناول هذه الشخصية بعد قليل.

- الإلحاد بين الرجال والنساء:

لعلك لاحظت عزيزي القارئ أن كل الشخصيات التي عرضها «بول فيتز» حتى الآن للاستدلال على نظريته في التقصير الأبوي كانت من الرجال، ربما يرجع ذلك إلى أن المرأة تتقبل بشكل أكبر من الرجال مفاهيم «الخلق والعناية» الإلهية بسبب ما تمر بها من خبرات الحمل والولادة والأمومة.

إذا كان «مصدر «الخلفية النفسية لتبني الإلحاد واحدًا في كل من الرجال والنساء وهو منظور التقصير الأبوي واختلال رمز الأمومة فإن «استجابة «كل من الجنسين تختلف عن الآخر فالرجال ينظرون إلى الإله باعتباره «مبدأ - رمز - مصدر» للقوة والنظام والعدل في العالم، ثم يأتي بعد ذلك

دور التواصل وإقامة العلاقة مع الإله؛ لذلك يمثل العقل والمنطق محور المنظومة الإيمانية عند الرجال أما عند النساء فتأتي العلاقة النفسية والانفعالية مع الإله في المقام الأول يتلوها النظر للإله كرمز - مصدر - للقوة والنظام والعدل.

لذلك نجد الرجال يبحثون في تبنيهم للإلحاد عن «مبدأ - رمز» بديل عن الإله يقوم به العالم؛ فها هي «كاترين تيت» ابنة «برتراند رسل» تخبرنا بأن الفيلسوف الكبير كان يجد في «الرياضيات» الحس الديني الذي يعوضه عن الإله، كما وجد أن منظري الثورة الفرنسية «كانوا ملاحدة أو شكاكين» في «العقل» البديل المأمول ويتبنى الملاحدة الجدد» العلم» فيشكلون في ضوئه رؤيتهم للعالم وفلسفاتهم الشخصية، ولا يكتفون بالنظر إليه كمنهج للحصول على المعرفة.

وتقابلنا غير ذلك بدائل أخرى للإله «الرمز - المبدأ «يتبناها الملاحدة مثل: «التقدم الإنسانية الاشتراكية الوجودية».

أما الفراغ الذي يسببه الإلحاد في نفس النساء بسبب فقد العلاقة النفسية مع الإله فلا بد من ملئه بعلاقة نفسية أخرى وهذا ما تعبر عنه بشكل مثالي«سيمون دي بوفوار».

لذلك تعتبر معظم النساء المتبنيات لفكر «التمركز حول الأنثى» الأنثوية أن الإله يمثل نوعًا من التسلط والسيطرة عليهن وهو جوهر ما يرفضنه في علاقتهن النفسية بالرجال، فيدفعهن ذلك لتبني الإلحاد؛ لذلك تجد هؤلاء النسوة البديل النفسي في الأنثوية ويصنفنها بأنها «الإلهة الأم»، وفي صميم بحث هؤلاء الأنثويات عن الاستقلال عن «الذكور /الإله» تتعمق علاقتهن بالعالم من خلال المرأة حتى في علاقتهن الجنسية (المثلية النثوية).

وانطلاقًا من الفرق نفسه بين الذكور والإناث في النظر لكلمة «مبدأ ورمز أم علاقة نفسية وانفعالية وتواصل» نجد أن مفاهيم مثل: الإله – القوة المطاعة – والذكاء المطلق – ومفهوم الربوبية الذي ينكر تواصل الإله مع البشر من خلال الديانات وأيضًا مفهوم وحدة الوجود الذي يرى أن وجود الله مثل هذه المفاهيم لها أرضية في الفكر الديني عند الرجال لكنها شديدة الندرة عند النساء إذ تخلو كلها من العلاقة النفسية والتواصل مع الإله.

ولا شك أن نظرة الرجال للإله باعتباره «رمز «ونظرة النساء له باعتباره علاقة نفسية يقف وراءها الاختلاف بين طبيعة المخ / العقل الذكوري، والمخ / العقل الأنثوي.

ففي هذا المجال نجد عالم النفس البريطاني» سيمون بارون كوهين» الأستاذ بجامعة كامبريدج يصف المخ / العقل الذكوري بأنه مخ / عقل» تنظيمي «يغلب عليه الاهتمام بالقوة والصراع وبالإنجاز وبالفكر المجرد والملفات التنظيمية، كما يتفوق في الرياضيات والعلوم التجريبية وتمثل له اللغة وسيلة لنقل المعلومات، أما المخ / العقل الأنثوي فهو مخ / عقل تعاطفي يغلب عليه الاهتمام بالعلاقة مع الآخرين وبالمفاهيم الإنسانية، ويتفوق في العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي الأعمال التي تتطلب هذه الملكات، وتمثل اللغة بالنسبة لهذا المخ/ العقل وسيلة للتواصل وإقامة العلاقة مع الآخرين، ولا شك أن كل من المخين / العقلين يشتمل على النوعين من المهارات التنظيمية والعاطفية ولكن مع اختلاف الدرجة والأولوية.

سيمون دي بوفوار (١٩٨٦ – ١٩٠٨):

كانت رفيقة جان بول سارتر الشهيرة التي دافعت بشدة عن فلسفة الوجودية ويعتبر كتابها «الجنس الثاني» من أهم الكتب الملهمة في حركة «التمركز حول الأنثى» وفي الثورة الجنسية في نهاية ستينيات القرن

العشرين؛ لقد كانت سيمون ملحدة ولا شك أن الإلحاد هو أهم المفاهيم في الفلسفة الوجودية، وأيضًا في الماركسية التي تبناها كل من سارتر وسيمون مثل الكثير من المفكرين الفرنسيين في ذلك الوقت.

ولدت سيمون لعائلة من الطبقة البرجوازية وجاهد الوالدان ليحافظا على دخل يكفي أفراد الأسرة؛ كان أبوها محاميًا وكان شكاكًا وقد تأثرت سيمون بأمها إلى حد بعيد، وقد ربت الأم ابنتها تربية كنسية ملتزمة حتى إن سيمون كانت في صغرها سعيدة ومطمئنة بعلاقتها بالكنيسة، وكانت تحلم بأن تصبح راهبة وبينما كانت الأم لصيقة ابنتها وكانت تحضر معها دروس المدرسة حتى سن العاشرة، وتقرأ خطاباتها حتى سن الثامنة عشرة فعلى العكس كانت علاقة سيمون بأبيها ضعيفة وإن كان شك الأب في الدين معروفًا لسيمون وكان شديد التأثير عليها.

وقبل العشرين من عمرها بدأت سيمون تستنكر استئثار الرجال بالمعرفة وبالحقيقة نتيجة لما تراه من سيطرة الرجال على الكنيسة وفي تلك المرحلة تركت سيمون الدين وكانت تقول: «لقد مهد شك أبي لي الطريق فما كنت أجرؤ أن أنطلق وحدي في هذا الطريق الشائك؛ لقد شعرت براحة كبيرة عندما تحررت من قيود الأنوثة ومن قيود طفولتي».

كانت سيمون في العشرين من عمرها حين التقت بسارتر الذي كان يكبرها بثلاث سنوات، لقد انطلقت تجاهه بشدة كالسهم وذابت فيه تمامًا وكتبت سيمون في مذكراتها قائلة: «كانت ثقتي في سارتر مطلقة لقد أمدني بالطمأنينة الكاملة التي لم أعد أجدها في عائلتي ولا في الإله»، وقد ظل ولاء سيمون لسارتر طوال عمرها كولاء زوجة مسيحية مطيعة لزوجها بالرغم من العلاقات العاطفية التي كان يقيمها كل منهما مع آخرين من حين لآخر.

كيف تفسر ولاء وإخلاص سيمون – اللذين لم يهتزا – لسارتر؟

وتتساءل توري موري Tori Mori إحدى الأنثويات اللاتي كتبن عن سيمون لماذا لم تكن سيمون تدع فرصة إلا وتؤكد أنها أدنى فكريًا من سارتر؟ الإجابة عن السؤالين باختصار أن سارتر قد» صار إلهها».

وإذا كان شك والد سيمون في الإله قد مهد لها طريق الإلحاد – مثلها مثل الرجال – فإن بول فيتز يركز في عرضه لحالة سيمون دي بوفوار على إظهار اختلاف موقف كل من الرجال والنساء الملاحدة بعد أن يرفضون الإله إن سيمون «استبدلت» علاقتها النفسية بالإله علاقتها بسارتر وقد حافظت طوال حياتها بإخلاص على هذا الارتباط الذي شكل في بداية حياتها الفكرية وبالمقارنة وضع سارتر إلحاده – علاقته بالإله كمبدأ أو كرمز – في قلب فلسفته الإلحادية، وبينما كان شعار سارتر: «الجحيم هو الآخرون»

الإلحاد والدوافع الشخصية

هناك نوعان من المفكرين هؤلاء الذين يشكلان رغباتهم تبعًا للحقيقة وهؤلاء يشكلون الحقيقة تبعًا لرغباتهم وبين هؤلاء يوجد طيف واسع من الأنماط الفكرية.

- الإلحاد والدوافع الشخصية:

تثير ضحالةُ وسطحية ما يقدمه الملاحدة من حجج موضوعية - علمية وعقلية - لإلحادهم دهشةَ المهتمين بقضايا الإلحاد إلى حد بعيد، ويزيد من الدهشة أن معظم هؤلاء قد اتخذوا قرارًا حاسمًا بالرفض في أخطر قضايا الوجود الإنساني وهي قضية الألوهية دون أن يبذلوا أدنى جهد في البحث لتحرى صحة ما يثيرونه من حجج.

والمتابع للدراسات حول الإلحاد يجد أن علوم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا والطب النفسي تركز في مرجعها في السنوات الأخيرة على الدوافع النفسية والشخصية والاجتماعية للإلحاد باعتبارها العامل الأول للانحراف عن فطرة الإيمان بالإله، ويتبنى المتخصصون في هذه العلوم أن الحجج المعرفية التي يطرحها الملاحدة تأتي كقناع Persona تختفي وراءه الدوافع النفسية والشخصية لإلحادهم.

- تجربة بول فيتز الشخصية في عالم الإلحاد:

من المفاهيم السائدة في الأوساط الفكرية الغربية أن الإيمان بالإله ينطلق من قصور فكري ورغبات وأحلام غير ناضجة بينما ينطلق الإلحاد والشك من نضج فكري ودوافع موضوعية يناقش بول فيتز هذا المفهوم ويثبت خطأه كما يناقش بعض الدوافع الشخصية / الاجتماعية وراء الإلحاد من خلال تجربته الشخصية يقول بول فيتز:

نشأتُ نشأة دينية مسيحية سطحية، وفي خمسينيات القرن العشرين حينما كنت طالبًا في الجامعة أصبحت ملحدًا وبقيت هكذا طوال فترات الدراسة والسنوات الأولى من تدريبي في مجال علم النفس التجريبي في جامعة نيويورك، وفي أواخر الثلاثينيات من عمري عدت إلى دائرة الإيمان المسيحي في وسط يعصف بالعلمانية في قسم علم النفس وفي مدينة نيويورك وعندما أتأمل الفترة الشكية الإلحادية في حياتي (١٨ : ٣٨) سنة أجد أن دوافعي كانت سطحية وغير منطقية وغير متماسكة عقليًّا ولا أخلاقيًّا، وهذه الدوافع هي نفس ما أرصده فيمن حولي من غير المؤمنين من المهتمين بعلم النفس وعلم الاجتماع، إن الأسباب الرئيسية وراء إلحادي – والتي لم أكن واعيًا بها حينها – هي:

١ – عوامل شخصية / اجتماعية عامة:

كانت حياتي الاجتماعية في صباي غير سهلة فقد كنت محبطًا أن كنت من أواسط الغرب Midde West الأمريكي الذي اشتهر بكسل أهله وبلادتهم وقرويتهم، كذلك لم يكن شيئًا مثيرًا ولا رومانسيًّا أن تكون من مدينة Cimcimmati بولاية أوهايو ومن عائلة أصولها خليط غامض من الألمانية والإنجليزية والسويسرية، باختصار كنت أنتمي إلى طبقة متوسطة بائسة محبطة، وعندما انتقلت إلى ميتشجان حاولت أن أتأقلم مع المجتمع الجديد العلماني البراق المثير. لا شك أن مثل هذه الخلفية وهذه النقلة قد عاشها العديد من الشباب الذين كانوا يحلمون بالترقي طوال القرنين السابقين، ومن هؤلاء المفكر الفرنسي فولتير الذي انتقل إلى باريس الأرستقراطية المتألقة المتكلفة، وقد ظل يشعر بالإحباط بسبب أصوله الريفية غير الأرستقراطية، ومن هؤلاء أيضًا أولئك الذين هجروا جيتو اليهودية الذي نشأوا فيه، وتربوا على مفاهيم الأصولية المحبطة لقد دفعت هذه الضغوط الاجتماعية الكثيرين بعيدًا عن الإله وعن كل ما يمثله الدين

من قيم، وما زلت أذكر الحلقة النقاشية التي شاركت فيها عند تخرجي في المدرسة، وفي الحلقة عبر كل فرد عن ضعفه وارتباكه في مواجهة الظروف الاجتماعية الجديدة عندما انتقل من منشئه وكيف تعامل مع هذه النشأة وكنت أنا أحد المتحدثين.

٢ - عوامل شخصية / اجتماعية خاصة:

عامل مهم آخر في توجهي للإلحاد كان رغبتي في أن ألقى قبولًا في أوساط علماء النفس الكبار المؤثرين، خاصة أساتذتي في الدراسات العليا الذين تأثرت بفكرهم خلال فترة دراستي الأكاديمية لعلم النفس.

أما أساتذتي في ستانفورد الذين كانوا كثيري الاختلاف حول النظريات العلمية فقد كانوا متفقين في جانبين اثنين: طموحهم العلمي المستقل، ورفضهم الدين وكما تعلمت أن «أرتدي» الثياب الملائمة لطالب الدكتوراه، فقد تعلمت كيف «أفكر» كنفساني يحسن عرض الأفكار الإلحادية ويحسن السلوك تبعًا لها.

٣ - الاستقلال الذاتي:

لا شك أن السمة الشخصية السائدة في المجتمع الغربي الآن هي «أن تصنع نفسك» هذا الشعور الذي تأسس في ظل حرب الاستقلال الأمريكية والثورة الفرنسية.

لقد أصبح المواطن الغربي المعاصر يسلك وكأنه مبرمج:

.No - One - Tells - Me - What - To - Do

لا - أحد - يخبرني - ماذا - أفعل.

ولا شك أن هذا الختم - الأكلاشيه - يناسب تمامًا نفسية شاب يعمل في علم النفس إنها الرغبة في التحرر التي تدعم رفض الإله.

٤ - الملاءمة الشخصية:

كعامل أخير للدوافع السطحية ظاهريًا العميقة تأثيرًا يأتي دور الملاءمة والارتياح الشخصيين، ليس من السهل بتاتًا أن تصبح متدينًا في مجتمع علماني وثني فللاحتفاظ بتدينك في هذا العالم سيكون عليك أن تتنازل عن الكثير من اللهو والوقت الممتع، وبدون الدخول في التفاصيل سيكون عليك التضحية بالاستمتاع بالجنس بالإضافة إلى التضحية ببعض الوقت والمال للمشاركة في خدمة الكنيسة ولقاءاتها وللصلاة وقراءة الكتاب المقدس وشروحه ومساعدة الآخرين.

لقد كنت مشغولًا للغاية ومن ثم لم يكن التدين ملائمًا لي شخصيًا.

قد تعتبر أن الأسباب السابقة قاصرة على شاب في العشرينات قليل الخبرة مثلي لكن هذه الأسباب في الحقيقة أكثر عمومية من الاقتصار على هؤلاء.

انظر إلى الفيلسوف والمفكر والكاتب الأمريكي الشهير مورتيمر أدلر الذي أنفق معظم حياته يفكر في الإله وفي الموضوعات الدينية فمن أشهر كتب أدلر (١٩٨٠) «كيف تفكر في الإله؟ دليل لوثني القرن العشرين» في هذا الكتاب يقدم أدلر أدلة قوية للغاية على الوجود الإلهي حتى يصبح قريبًا جدًا من الإيمان بالإله، لكن يتراجع ويفضل أن يبقى ضمن - الأغلبية العظمى من غير المتدينين - وتدرك بوضوح من خلال الكتاب أن دوافع أدلر الإلحادية كانت «رغبة واختيار» أكثر منها «امتناع عقلي»، ويصرح بذلك في سيرته الذاتية ويخبرنا أدلر صراحة أن يصبح متدينًا يتطلب تغيرًا جذريًا في طريقة حياته إن نمط حياة جديدة لم أكن «أريد» أن أحياه.

ويلخص بول فيتز دوافعه الشخصية / الاجتماعية للإلحاد قائلًا:

لقد أصبحت ملحدًا بسبب عوامل سطحية فعالة:

- احتياجاتي الاجتماعية لأن أتأقلم مع المجتمع.
- واحتياجاتي المهنية لأن أصبح عضوًا في المجتمع النفسي الأكاديمي.
- وأن احتياجاتي تبعًا لنمط معيشي يُمتعني.

وبذلك يمكن القول أن تبني الإلحاد كان قرار شاب مراهق، وظل هكذا بالرغم من تجاوزي سن المراهقة. ما أروع تحليل بول فيتز الذي أقنعني فيه بشدة أن دوافعه الإلحادية كانت نفسية شخصية اجتماعية أكثر منها عقلية منطقية.

التحليل الأخلاقي والإلحاد:

الحياة بوجهين:

في عام ١٩٨٨ نشر الكاتب ومؤرخ القرن العشرين الإنجليزي الكبير بول جونسون Paul Johnson كتابه القيم» المفكرون «Jntellectuals والذي يصفه بأنه «دراسة المفاهيم الأخلاقية والفكرية لعدد من كبار العلماء وفلاسفة ومفكري الإنسانية بهدف الخروج بدروس عن كيف تدير شؤونها»، والكتاب – عبر ٣٤٢ صفحة – هو عملية كشف لسلوكيات بشرية كريهة وغير أخلاقية تتأذى النفس من مطالعاتها، والمشكلة ليست في التفاصيل الدنيئة والخسيسة لهؤلاء، لكن تكمن المشكلة في أن الإنسانية تعتبر هؤلاء من أبطالها ورموزها الفكرية وبناة حضارتها، بل قام هؤلاء برسم خارطة الطريق للبشرية ستفاجأ قارئي الكريم بل ستصدم حين تكتشف أن العديد من الرموز الفكرية للبشرية كانوا إباحيين، وكانوا أنانيين مغرورين، وأن اهتمامهم المزعوم بالإنسانية كان كذبًا ونفاقًا يختفي وراءه قدر كبير من القسوة واللامبالاة بأقرب الناس إليهم خاصة أفراد عائلاتهم، هكذا يصفهم بول جونسون لذلك لم يكن غريبًا أن يتبنى هؤلاء الإلحاد.

شخصيات ذات وجهين:

من أهم الشخصيات التي تناولها بول جونسون للاستشهاد على دعواه:

١ - جان جاك روسو:

كان الفيلسوف والمفكر روسو شديد الزهو والاختيال لا يتحمل المسئولية؛ فقد أنجب خمسة أطفال غير شرعيين تركهم في ملجأ أيتام وهو كان يعني في أيامه الموت المبكر.

٢ - بيرسى بيسش شيلي:

كان الشاعر شيلي محتالًا مدمنًا للخمر عصبي المزاج، وكان مدمنًا للزنا أنجب من ثلاث نساء سبعة أطفال أهمل تربيتهم، ومات أحدهم ولم يتجاوز من العمر ثمانية عشر شهرًا في ملجأ أيتام.

٣ - كارل ماركس:

كان ماركس معادٍ متطرف للسامية، أناني كسول مستغل لأصدقائه فاسق داعر، كثير الخيانة لزوجته ترك طفلًا غير شرعي ورفض الاعتراف به.

٤ - ليو تولستوي:

كان الأديب الروسي الكبير مصابًا بداء العظمة، وكان مقامرًا منحرفًا خرفًا وزانيًا مغتصبًا للنساء وكان يحتقرهن ويحتقر ويزدري زوجته.

٥ - هزيك أبسن:

كان أبسن مزهوًا مختالًا وكان حقودًا لا قلب له وزير نساء لا يبالي إلا بالمال، يحتقر الفقراء والمحتاجين حتى لو كانوا من عائلته.

٦ - أرنست هيمنجواي:

كان سلوك الأديب الإنجليزي الكبير يخالف اسمه (مخلص Ernest)

فقد كان كذوبًا يحتقر النساء فاسقًا داعرًا مدمنًا للخمر فدمر نفسه.

٧ - برتراند رسل:

كان رسل يحتقر النساء، وكان زانيًا مزمنًا ومغتصبًا خاصة تلميذاته الصغيرات حتى في سنه الكبيرة، وبالرغم من ذلك استاء عندما مارست إحدى زوجاته الزنا.

٨ - جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار:

كان فيلسوف الوجودية سارتر فاسقًا ومغامرًا جنسيًّا حتى مع تلميذاته؛ لذلك كان سهل المنال لعشيقته سيمون التي اشتهرت بعلاقاتها الجنسية المتعددة بالرجال حتى إنها منعت من التدريس لعلاقاتها الإباحية بتلاميذها.

٩ - آرثر شوبنهور:

أصيب شوبنهور بمرض الزهري الجنسي نتيجة لإباحيته الجنسية، وكان من الداعين لزواج أكثر من رجل من امرأة واحدة مثله في ذلك مثل كثير من الملاحدة الذين يؤيدون العلاقات الجنسية المتعددة لكلا الجنسين.

١٠ - فريدريخ نيتشه:

يذكر فرويد وكارل يانج أن نيتشه قد أصيب بالزهري نتيجة لعلاقة جنسية مثلية في جنوة بإيطاليا، وكان من المؤيدين للعلاقات الجنسية مع المراهقين.

١١ - المركيز دي صاد:

اشتهر المركيز بشذوذه وعدوانيته الجنسية حتى عُرف أحد أنواع الانحراف الجنسي والنفسي باسمه - السادية -، وكان من الداعين للإجهاض، وقد رفض الألوهية لأنها تضع قيودًا على رغباته الجنسية.

١٢ - مارجريت سانجر:

مارجريت سانجر من الأسماء الشهيرة في الدعوة للإباحية والتعددية الجنسية مع الدعوة إلى إلغاء مؤسسة الزواج، وقد اشتهرت بدعوتها للتحكم في النسل والإجهاض، وتفوق الجنس الأبيض.

كيف وأين نستخدم ذكاءنا فهؤلاء الذين يتبنون أن العالم لا معنى له إنما يفعلون ذلك لأنه يناسب رغابتهم في ألا يكون للعالم معنى.

ويلخص الفيلسوف والمفكر الأمريكي الكبير مايكل جونز ما ذهب إليه بول جونسون قائلًا: «هناك نوعان من المفكرين هؤلاء الذين يشكلون رغباتهم تبعًا للحقيقة، وهؤلاء الذين يشكلون الحقيقة تبعًا لرغابتهم، وبين هؤلاء وهؤلاء لا يوجد طيف واسع من الأنماط الفكرية».

الإلحاد والانحرافات الجنسية

الحداثة، محاولة لتبرير الانحرافات الجنسية

للفيلسوف والمفكر الأمريكي الكبير مايكل جونز كتاب مدهش بعنوان «تفسخ الحداثيين» degemerate moderns يستكمل فيه دراسة بول جونسون للسلوك الشخصي للمفكرين المحدثين مع التركيز على العلاقة بين النظريات الأكاديمية التي وصفها هؤلاء وبين انحرافاتهم وسوء ممارساتهم الجنسية، وقد عبر جونز عن رسالة الكتاب النهائية في عنوانه الجانبي: الحداثة «Modernity» لمحاولة لتبرير الانحرافات الجنسية.

تعرض مايكل جونز في كتابه «تفسخلا الحداثيين» لكتاب عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية مارجريت ميد «Margaret Mead» والمسمى: «العائدون من التاريخ السحيق في ساموا Coming of Age in Samoa» والذي حظي بمنزلة أكثر الكتب بيعًا عند صدوره عام ١٩٢٨.

تبنت مارجريت في كتابها أن المفاهيم الأخلاقية ليست إلهية المصدر، ومن ثم فإن المفاهيم والمقاييس الجنسية السائدة بين البشر هي إفراز حضاري يختلف من حضارة لأخرى.

وللوصول لهذا المعنى درست مارجريت السلوك الجنسي لسكان جزر ساموا Samoa، انتهت مارجريت في دراستها إلى أن هذا الشعب يسخر من العقد الجنسية Fidelity، ولا يرى في الزنا ما يشين أو يهدد سلامة النسيج المجتمعي، لذلك فالاغتصاب لا وجود له في هذه الجزر، كذلك ليس لهؤلاء شكل شرعي - الزواج - للعلاقات الجنسية.

لقد كان تأثير دراسة مارجريت ميد على الحضارة الغربية كبيرًا، فقد

روجت للإباحية الجنسية في الغرب كما دعمت مفهوم النسبية الحضارية بين الشعوب.

لم يفكر أحد طوال خمسين عامًا في مراجعة ما انتهت إليه دراسة مارجريت حتى قام بذلك عالم الأنثروبولوجيا النيوزيلاندي «ديريك فريمان».

أعلن فريمان أن مارجريت قد أخطأت بشدة في فهم حضارة الساموانيين وسلوكهم الجنسي، بل وجد فريمان أن هذا الشعب متحفظ تمامًا في سلوكه الجنسي حتى إنه يعتبر الاغتصاب والزنا جرائم خطيرة قد تصل عقوبتها إلى القتل، ومن ثَم فهو شعب يحترم كثيرًا رابطة الزواج ومؤسسة الأسرة.

كيف سقطت مارجريت ميد في هذا الخطأ الكبير؟

يبين مايكل جونز وآخرون أن مارجريت قد تأثرت في رصدها لسلوك الساموانيين بقيمها الشخصية سواء عن قصد أو غير قصد، تلك القيم التي تتمركز حول مفهوم «النسبية الحضارية» والذي تجد فيه تبريرًا للحرية الجنسية.

لقد كانت مارجريت تحيا حياة مليئة بالممارسات الجنسية اللاشرعية، كما ظلت تمارس الجنس المثلي مع زميلتها عالمة الأنثروبولوجيا والنسيبة الحضارية «روث بنيدكت Ruth Benedict « لقد تأثرت أمانة ودقة بحث مارجريت بما تعانيه من انحرافات جنسية ولا شك أنها نموذج واضح لكيف تؤثر بيئتنا النفسية وانضباطنا الأخلاقي على ما تعتنقه من أفكار، بل يذهب هذا التأثير إلى مدى أبعد فيما يؤثر على قدرتنا على رصد الظواهر من حولنا وعلى قيامنا بالبحث العلمي.

تقرير كنزي المضلل:

مثال آخر يطرحه «مايكل جونز» في كتابه «تفسخ الحداثيين» ويعكس تأثير منظومتنا الشخصية الأخلاقية على منظومتنا الفكرية، إن «ألفريد كنزي «Alfred Kinsey صاحب «تقرير كنزي Kinsey Report» الشهير الذي أثر جذريًا في الحياة الجنسية للأمريكيين، وانعكس على الحياة الجنسية للبشرية كلها، فقد كان التقرير رافدًا مهمًا للثورة الجنسية في الغرب في ستينيات القرن العشرين.

كان كنزي بالإضافة لتخصصه في «الطب النفسي «Psychiatry متخصصًا في «علم الحشرات «Entomoleyist وقد بدأ اهتمامه بالحياة الجنسية للبشر منذ منتصف الثلاثينيات من عمره، فكان يحرص على تسجيل تاريخ الممارسة الجنسية six Historygl لمرضاه، وكان يستعين في مناظرته وعلاجه للمرضى بأفلام إباحية يقوم بتصويرها بنفسه، وما زالت عشرات الآلاف من المجلدات والأفلام الجنسية موجودة في مركز كنزي للأبحاث الجنسية في جامعة إنديانا.

وباعتباره من علماء البيولوجيا التطورية اهتم كنزي بالتنوع في السلوك الجنسي، فكان يسعى جاهدًا في إثبات وجود التنوع في سلوك البشر الجنسي مثلما لاحظه في الحشرات، وقد انعكس هذا الفهم على منهج البحث عند كنزي فكان الكثير ممن ناظرهم من المومسات والمسجونين والشواذ، وقد غذته هذه العينات بقدر كبير من التنوع في السلوك الجنسي، وهو ما أثر على تصوره لما أطلق عليه «السلوك الجنسي الطبيعي Normality « لقد كان ذلك خطأ فادحًا في منهج البحث العلمي فقد كانت العينة البحثية - الأشخاص محل البحث - منتقاة بشكل يجعل نتائج البحث محددة قبل بدايته، وكانت العينة النتيجة أن وسع كنزي مفهوم

«السلوك الجنسي الطبيعي» بأن ضم إليه الممارسات غير الطبيعية.

لقد اتفقت نتائج أبحاث كنزي مع نتائج أبحاث مارجريت ميد في أنها تدعم مفهوم «النسبية الأخلاقية «Moral Relativisn ويؤكد كنزي هذا المعنى قائلًا: «تنتظم الفوارق الفردية في السلوك الجنسي في منحنى منتظم مستمر ليس فيه حد فاصل بين الطبيعي وغير الطبيعي ليس فيه صواب وليس فيه خطأ».

لقد كان الخطأ المنهجي الأكبر لكنزي أن دخل ساحة البحث العلمي بمفهوم مسبق، وهو مفهوم النسبية الأخلاقية فسعى إلى دعم مفهوم التنوع Variatien فأدى ذلك إلى اعتبار الانحرافات الجنسية سلوكًا طبيعيًّا.

وحتى تكتمل الفائدة من دراسته كان ضروريًّا أن يبحث مايكل جونز في سلوك كنزي الجنسي. لقد وجد جونز أن كنزي كان مزدوج العلاقة الجنسية Bisexual كما كان ما يوشيا Masochisticكما كان يشجع تلاميذه على العربدة وممارسة أشكال الانحرافات الجنسية المختلفة، إن ذلك يكشف كما في حالة مارجريت ميد - تأثير الحالة الأخلاقية والسلوك الفردي والخلفية الجنسية والشخصية على ما يتبنى الإنسان من قناعات عقلية.

تقنين الشذوذ الجنسي:

عبر الأطلنطي ظهرت في إنجلترا في النصف الأول من القرن العشرين مجموعة تبنت مفاهيم أعمق وأوسع من مفاهيم كنزي بخصوص الحرية الجنسية ورفض الالتزام الأخلاقي، أنها مجموعة «بلومز بري Bloomibury « الشهيرة التي ضمت مجموعة كبيرة متباينة من الكتاب والفنانين وكان لها تأثير كبير الثقافة الغربية في أوروبا لقد كان الكثيرون من أعضاء المجموعة من الشواذ جنسيًّا ومن ممارسي الجنس الجماعي وكان

هؤلاء يعتبرون ممارستهم الجنسية الشاذة جزءًا من رؤية أخلاقية وجمالية أشمل محورها «النسبية الأخلاقية» التي لا تمايز بين صواب وخطأ، لكنها تختلف تبعًا لخبرة كل شخص ودوافعه وقدرته على التحكم في نفسه، لذلك كانوا يرفضون تمامًا الأعراف والمفاهيم الاجتماعية السائدة، ومن ثم في أعمالهم التي أنتجوها في تخصصاتهم المختلفة.

لقد كانت مجموعة بلومز بري مثالًا آخر على كيف أن الميول الشخصية الأخلاقية والسلوكية توجه المفاهيم والأفكار وليس العكس.

الشذوذ الجنسي والحداثة:

يلخص جونز أفكار من عرضنا من الشخصيات (مارجريت ميد - وكنزي- ومجموعة بلومز بري) في أن الجنس غير التقليدي (يقصد ما نتعارف عليه بالشذوذ الجنسي) والحداثة متضافرين متداخلين دون إمكانية للانفصال للأبد حتى أن الاقتصادي البريطاني «جون كينيس John Keynes» كان دائمًا يصف الحداثة بأنها اللواط الأعلى Higher Sodomy، ونختم وقفتنا مع مايكل جونز بأن نلخص ما قصد إليه في كتابه «المفكرون» بقوله إن الخطايا الجنسية مدمرة مفسدة للعقل، وإذا كان معظم من ذكرنا ملاحدة فإن نظرة إلى الواقع الأمريكي الحالي تؤيد ما ذهب إليه جونز.

فكبار المؤسسين والداعين لمنظمات ومجتمعات الانحرافات الجنسية من الملاحدة، وتقوم صناعة الجنس والمنتجات الإباحية Porno بشكل رئيسي على الملاحدة.

إن علاقة الفسق بالإلحاد ليست غريبة، ألم يقل ريتشارد دوكنز أحد كبار الملاحدة المعاصرين: «إن الوجود لا تصميم فيه ولا غاية ولا شر ولا خير لا شيء إلا لامبالاة مؤلمة».

إن غياب الإله قد جعل الوجود - كما يقول نيتشه - وحشيًا فظًا Brutish

وكما قال ديستوفسكي: «إذا مات الإله فكل شيء مباح».

- الإلحاد والتمركز حول الذات:

يقول الفيلسوف الأمريكي مورتمر آدلر:» إن التدين يحتاج إلى تغيير جذري في طريقة حياة الإنسان يشمل اتجاهات اختياراته اليومية وأهدافه العامة التي يسعى إليها في حياته اليومية وأهدافه العامة التي يسعى إلى تحقيقها» قال آدلر ذلك عام ١٩٧٧وعندما تبنى المسيحية عام ١٩٨٤ وتم تعميده قال: «إذا كان الإيمان صعبًا فعدم الإيمان أكثر صعوبة» المشكلة في الغرب أن مقابل كل آدلر يوجد الكثيرون من أمثال مايكل أو نفراي الداعي لمبدأ النوة، ومن أمثال كريستوفر هتشنز الذي انفصل عن زوجته الأولى وقت أن كانت حاملًا في ابنه.

الشعور بالنقص والشبق إلى الشهرة:

يعتبر الكثيرون من علماء النفس أن الملاحدة يعانون عقدة نقص، وللهرب مما تسببه هذه العقدة من الشعور بالدونية وعدم الشعور بالأمان فإنهم يكتبون هذه المشاعر ويستبدلون بعقدتهم عقدة التعالي، وهذا ما يجعل الملاحدة يشعرون بأنهم متميزون وأنهم أفضل من الآخرين ومن أجل إشباع هذه العقدة يسعى الملاحدة إلى الشهرة.

وكتب علم النفس والسير الشخصية ملأى بمواقف الكثيرين من كبار وصغار الملاحدة التي تكتشف ذلك، فنجد الملحد يعلن إلحاده على الملأ ليحقق الشهرة ليشعر بذاتيته وتميزه، والمتابع لكتابات الملاحدة ومواقع تواصلهم الاجتماعي يدرك بوضوح كم يحبون أن يُعرفوا بتفردهم ودقتهم وحريتهم الفكرية وتمردهم واستنارتهم. صدق الفيلسوف الملحد «جوليان باجيني «Julian Boygini حين قال: «يحتاج الملاحدة لعدو حتى يشعروا بذواتهم».

شخصيات متمركزة حول ذواتها:

ولإثبات هذا المفهوم يعرض عالم النفس الأمريكي بول فيتز مواقف وصفات بعض كبار الملحدين كما وردت في كتب سيرهم الشخصية ومن هؤلاء:

- فولتير:

يتفق كل المؤرخين والنقاد أن السيرة الشخصية لفولتير تكشف بوضوح أنه كان يتسم بخيلاء عقلية كبيرة رفعت سطح طموحاته وتطلعاته وجعلت الشهرة شاغله الأول.

- لودفيج فيورباخ:

كان فيورباخ شخصية انغزالية للغاية، ويرجع ذلك إلى عجزه عن تحقيق طموحاته العقلية إذ كان يعتبر نفسه فيلسوفًا في غاية الأهمية للبشرية.

- نيتشه:

لم تكن غطرسة نيتشه وعشقه للشهرة خافية على أحد، بل إن فلسفته كلها تنطلق من هذه السمة، فقد تبنى تقديس القوة والإنسان السوبر مان، ولكي يروج لهذا المفهوم أعلن مقتل الإله، كما حاول إحلال نفسه محل المسيح!! فكان يصف نفسه بالإنسان المصلوب، وفي سنوات جنونه أعلن نيتشه نفسه «عدو المسيح» فكان يعادي كل تعاليم المسيحية، لقد أراد أن يصيب العالم بالجنون بأن يقتل الإله فكانت النتيجة أن أصيب هو بالجنون ودمر نفسه.

- سيجموند فرويد:

لم يكن الدارسون لفرويد مخطئين حين وصفوه بالإنسان الطموح المتطلع فقد وصف نفسه قائلًا: «لست بالمرة رجل علم أو رجل تجارب

أو رجل ملاحظة وتأمل، فما أنا إلا مغامر مخاطر» كما وصف نفسه بأنه «الفاتح المنتصر».

- بارون دوهولباخ:

كان هولباخ من ملاحدة فترة الاستنارة المشهورين، قام بتضخيم شأن عائلته وأصولها العرقية، وفي الوقت نفسه ترفع عن والديه ولفظهما، كما اشترى لقب البارون حتى يضفي على نفسه صفة النبلاء وسعى للانتماء إلى ما عرف بدائرة المفكرين الأحرار فحقق من الشهرة بينهم ما عجز عن تحقيقه مع والديه.

- المركيز دي صاد:

أبو السادية لم يكن يعترف بأية حدود للسلوك الجنسي، وكان يسعى لتحقيق الشهرة عن طريق إشاعة سيرته كفاسق عاهر.

- جون تولاند:

كان جون ابنًا غير شرعي، وكان يسعى لمحو هذه الحقيقة من ذاكرة المجتمع من خلال النجاح والتفوق ومصادقة مشاهير عصره - مثل جون بوك -، وكذلك عن طريق كتابة الأعمال الصادقة مثل «المسيحية ليست أعجوبة».

- ريتشارد كارليل، مارجريت سانجر:

سعيا لجذب الانتباه عن طريق الدعوة للتحكم في الحمل والإجهاض، في وقت كان ذلك سلوكًا منبوذًا لا تقوم به إلا العاهرات، وكانا يكتبان المقالات الصادمة في الصحف.

- جل جونستون:

نبذها والدها فسعت لتحقيق الشهرة التي كانت تواقة لها عن طريق

التعصب للنسوية وللشذوذ الجنسي بين الإناث.

- برتراند رسل:

وصف رسل مؤرخوه بأنه كان متغطرسًا متكبرًا حقودًا شديد البرود كثير الكذب.

- كارل ساجان:

كان كارل ساجان يسعى لتغيير الصورة عن أصله المتواضع فقد كان والده حائكًا للملابس - ترزي -، فسعى - ونجح - في تحقيق الشهرة العريضة كعالم فضاء وكاتب وإعلامي.

- كريتوفر هتشنز:

كان هتشنز يتبنى طوال حياته المهنية أسلوب «الصدقة» للحصول على الاهتمام ولفت الأنظار، فهاجم الأم تريزا ووصفها بأنها أصولية متعصبة مخادعة، تسببت في شقاء الملايين لتحقيق الشهرة وقد حصل على شهرة كبيرة نتيجة لهذا الهجوم.

وقد وصفت أستاذة الفنون الملحدة» كاميل باجليا «Camille Poglia هتشنز بأنه نرجسي - مباه بذاته محب لها - منغمس في اللذات ولا يعير اهتمامًا لأي شيء إلا لملذاته الشخصية.

وعندما أصيب هتشنز بسرطان المريء سعى لتسليط الأضواء على مرضه ثم ملابسات موته وجعله حدثًا عامًا.

- سام هاريس:

رجل تواق للشهرة ولو على حساب الحقيقة يسعى إلى ذيوع الصيت، وهو مفكر غير ملتزم نرجسي لا يقبل آراء الآخرين، ويحاول أن يجعل من نفسه محورًا ومركزًا لأي مجموعة عمل.

وقد نشر سام هاريس كتابه» خطاب إلى أمة مسيحية Letter to Christian Nation «على نفقته ليحقق الصيت والكتاب مليء بالهجوم غير المبرر على الديانات كقوله: «تتبنى الديانات مبادئ قد تدعو لقتل الآخرين من أجل أن يؤمنوا بها».

- ريتشارد دوكنز:

يدرك المتابع لبرامج دوكنز وكتبه خاصة كتابه الأخير «وهم الإله» شبقه للشهرة باعتباره المتحدث باسم الإلحاد والملاحدة بغض النظر عن الحجية العلمية، لما يفرق من استدلالات لذلك أسعده كثيرًا أن اختاره قراء مجلة كأحد كبار المفكرين في زمانه كما أسعده أن تذكره جريدة - أشهر جريدة علمانية في إنجلترا - كأحد أكثر الرجال أناقة في بريطانيا.

وفي ذلك يقول الفيلسوف الملحد مايكل روس: «لقد جعلني كتاب «وهم الإله «أشعر بتوتر وارتباك لكوني ملحدًا، فالكتاب الذي يعالج في المقام الأول قضية الأخلاق يتبنى حملة صليبية لا أخلاقية تتسم بالتكبر والعجرفة «فدوكنز» لا يتحدث كفيلسوف يعالج الأدلة ليصل إلى استنتاجات منطقية، لكن كواعظ أصولي يرسم طريق الخلاص ويهدد بالطرد من الرحمة» ثم يطرح روس تساؤله: «إذا كان الإله غير موجود فلم هذا التطرف الشديد ضد الدين؟».

تتفق شخصيات كل من ناقشنا حالاتهم في أنهم من ذوي الطموح الكبير مع الغطرسة والكبر والشبق إلى الشهرة.

وفي عالمنا العربي نجد في التاريخ الإسلامي شخصية ابن الرواندي كما نجد شخصية عبد الله القصيمي في التاريخ الحديث كمثلين يجسدان هذا النمط الشخصي المنحرف كما صادف كاتب هذه السطور العديد من شبابنا الذين عصفت بهم عقدة النقص وحب الشهرة فأردتهم في الإلحاد،

وقد أُسميت هذا النوع بـ»إلحاد خالف تُعرف» وسنقوم بمناقشة الإلحاد في عالمنا العربي والإسلامي في الفصل العاشر من الكتاب.

يبرر البعض إلحادهم بما يعتبرونه مصائب وكوارث تصيب البشر تحدث بسبب الإله والدين مثل ما يحدث لهم من شرور ومعاناة بسبب الأمراض والكوارث الطبيعية (وهو ما يعرف بمجالدة الشر والألم) ومثل ما يقوم به الإرهابيون المتطرفون من عمليات إرهابية ضد المدنيين الآمنين، ويعتبر آخرون أن تعاليم الكتب السماوية وما جاء فيها سطحي وتافه.

وكثيرًا ما تكون هذه الأسباب المعلنة قناعًا تختفي وراءه أسباب أعمق لرفض الإله والدين يخجل الملاحدة من إعلانها.

فبعضهم يتبنى الرفض بسبب تجارب شخصية ومعاناة مؤلمة، وبعضهم يحمل بغضًا شديدًا بل وخوفًا من كل ما هو جميل أو طيب، وهؤلاء يسخرون من كل ما جاء في الكتب السماوية من كمالات وفضائل للإله وتدعونا للتخلق بها.

لكن لماذا يرفض هؤلاء الجمال والحسن والفضائل؟

السبب أنها تمثل قيودًا يعلمون أن عليهم الالتزام بها، بل ويسعى كثير من هؤلاء لتحطيم كل صاحب فضيلة أو جمال أو حسن أو صدق، حتى لا يعانون الشعور بدونيتهم.

يقول عالم اللاهوت الكبير» ك.س. لويس: «C.S. Lewis «إن أقوى أسلحة الشيطان ليست قوته على إقناعنا أنه ليس هناك إله، بل إقناعنا أنه لدينا متسعًا من الوقت».

لقد صار إنسان العصر الحديث يتمتع بمتوسط حياة أطول كثيرًا من ذي قبل وذلك نتيجة لتقديم علوم الطب وتوافر سبل الوقاية الصحية والتغذية

وقد أدى ذلك إلى ضعف الشعور بالحاجة إلى الإله فلا شك أن توقع الإنسان أن يحيا ثلاث عشر سنة تختلف عن توقعاته إذا أدرك أنه سيتجاوز الثمانين عامًا من العجز، فعندما يكون الموت بعيدًا والمعاناة الحياتية اليومية أقل ومستوى الحياة أفضل ليصبح الإله أبعد عن عقل الإنسان، وكلما عاش الإنسان أطول كلما صار تركيزه على «الآن وهنا» أي الفردوس الأرضي ومن ثم يزداد تمركزه حول ذاته وتبنيه للعلمانية والمادية والإلحاد.

الإلحاد والتوحد

هل هناك علاقة ما بين التوحد والإلحاد

هناك أسباب عقلية للإلحاد وأشهرها:

التوحد:

تتركز مشكلة التوحد التي يعانيها بعض الأطفال في «صعوبة التواصل» مع الآخرين وقد تصل إلى «لا تواصل» على الإطلاق.

وترجع المشكلة إلى عدم إدراك هؤلاء الأطفال أن للآخرين عقولًا مثلما أن لهم عقولًا وانفعالات أي أنهم ينظرون إلى الآخرين كأشياء لذلك يوصف هؤلاء بأن مشكلتهم هي «العمر العقلي» وبتعبير آخر يصبح هؤلاء عاجزين عن تكوين «نظرية العقل» التي تعني القدرة على فهم ما يدور في عقل الآخر وهي أهم سمات العقل البشري.

وتبدأ ملاحظات الأسرة بأن الطفل يعجز عن التواصل مع أمه ثم أبيه ثم الآخرين ولِمَ لا الإله! وقد ذكر سيمون بارون كوهين عالم النفس بكمبريدج والمهتم بالتوحد أن المشكلة أقل شيوعًا في الإناث عن الذكور ١: ٣ - ٤ مرات، ولما كان الذكور أكثر اهتمامًا بالأشياء بينما الإناث أكثر اهتمامًا بالمشاعر والعلاقات يعتبر كوهين أن مرضى التوحد يمتلكون «أمخاخًا» عقولًا متطرفة الذكورة.

التوحد والتدين:

أجرى عالم النفس كوبتن ديلي دراساته على مرضى التوحد الوظيفي عند الكبار ووجد أنهم يتصفون بنصف الاهتمام بالدين.

إن ذلك يثير العديد من التساؤلات: هل نقول إن العكس صحيح؟ أي هل

يرجع نقص الاهتمام بالدين إلى التوحد الوظيفي؟

وإذا كانت الديانات الإبراهيمية تقوم على التواصل مع الإله فهل يملك المتدينون قدرة أعلى على التواصل - عكس التوحد - أي يملكون أمخاخًا أنثوية؟

وفي المقابل هل يملك الملاحدة أمخاخًا غير قادرة على التواصل) مخ متطرف الذكورة)؟

وإذا كان الأعمى غير قادر على رؤية الأشياء وفهمها فهل أصحاب العمى العقلي Mind Bilindmess يصبحون عاجزين عن فهم الإله والديانات؟

وإذا كان التوحد يتماشى بشكل أكبر مع المخ العقلي الذكوري الذي يتصف بأنه عقل مجرد لا يبالي بالعلاقة مع الآخرين وينجذب إلى الفلسفة المادية، فهل نقول إن هذه الصفات تمهد للإلحاد، ووجد أنهم يتصفون بنقص الاهتمام بالدين.

والخلاصة:

هل التقصير في إقامة علاقات مع الآخرين / الإله يرجع إلى درجة ما من التوحد الوظيفي؟

هناك العديد من الدراسات الحديثة تؤيد ما ذهب إليه ديلي فقد ظهر أن:

أصحاب التوحد الوظيفي يكونون أكثر ميلًا للإلحاد بأشكاله والمتدينون منهم يكونون أكثر قدرة على تشكيل منظوماتهم الإيمانية.

الإلحاد يكون أكثر شيوعًا بين من يقومون بأعمال تتطلب ملكات تنظيمية ذكورية هذا لا يعني أن الإلحاد يقف وراءه التوحد ولا أن المتوحدين لا يمكن أن يؤمنوا.

يعتبر سيمون بارون كوهين أن أينشتاين هو أحد مرضى» متلازمة أسبيرج

Aspergers Syndrom « وهو أحد أنواع التوحد الوظيفي الذي يتسم بصعوبة التواصل الاجتماعي فقد كان أينشتاين في صغره خجولًا غير اجتماعي يسلك كالمتوحد وعندما كبر كان يواجه صعوبات في التعاملات الاجتماعية، كما كان أينشتاين يؤمن بإله مجرد غير متشخص، إله شديد التنظيم، لا يحتاج لتواصل؛ أليست هذه صفات المخ الذكوري؟

وهذه ملامح حول «علاقة محتملة» بين الإلحاد والتوحد في حياة البعض.

هل الملاحدة هم الأذكياء؟

تروج كتابات الملاحدة دائمًا أن الملحدين هم الصفوة الفكرية في المجتمعات، وأنهم يحصلون على معدلات عالمية في اختبارات الذكاء، وأن متوسط معدلاتهم أعلى من متوسط معدلات المتدينين، ويدَّعون كذلك أن الشخص كلما ارتقى في سلم التعليم كلما كان أكثر ميلًا للإلحاد، ويدعم الملاحدة دعاويهم تلك بقوائم تحمل أسماء علماء كبار ينسبونهم إلى الإلحاد.

فهل هذه الادعاءات صحيحة؟

الحقيقة أن في المقابل لهذه الدراسات هناك دراسات أخرى عديدة تؤكد عكس ذلك.

كذلك فإن هناك قوائم أخري بأسماء علماء متدينين تشمل معظم العلماء الفطاحل الذين قامت على أكتافهم علوم الفيزياء والكيمياء الكلاسيكية وأيضًا علماء الفيزياء الحديثة - الكوانتم - الذين حصل معظمهم على جوائز نوبل وكذلك العلماء الفطاحل الذين تأسست على جهودهم علوم المخ والأعصاب ومعظمهم أيضًا حصلوا على جوائز نوبل.

الملاحدة واختبارات الذكاء:

يحتاج ما يشاع من أن الملاحدة يسجلون درجات أعلى في اختبارات الذكاء إلى وقفة تبين مدى حجية هذه الاختبارات في قياس قدرات الإنسان العقلية.

تتبنى دائرة معارف الاضطرابات العقلية أن اختبارات الذكاء تعجز عن قياس الذكاء الحقيقي للشخص، وتستشهد دائرة المعارف على ذلك بأن أكثر اختبارات الذكاء مصداقية يقوم على عدد من العوامل أهمها: استخدام

اللغة - التفكير المجرد -الملكات الرياضية - التصور المكاني - قدرات القراءة -الثروة اللغوية - المعلومات العامة - الذاكرة - وهذه هي المهارات المطلوبة للتفوق الدراسي وفي نفس الوقت يعجز هذا الاختبار عن قياس مهارات أخرى غير ملموسة مثل: المهارات الاجتماعية -المزاج - الانضباط - الرغبة في النجاح - عمق المعلومات - الإبداع - وهذه المهارات هي الأكثر أهمية بخصوص الإيمان بالإله.

ومما يعيق الملاحدة في الحصول على نتائج عالية في اختبارات الذكاء أن هذه الاختبارات موضوعية مادية علمانية، ومن ثَم فالماديين يمكن أن يحصلوا فيها على معدلات أعلى، وفي المقابل فإن الدراسات الاجتماعية التي تعتمد على ملاحظة أنماط السلوك الاجتماعي تكون أكثر مناسبة لطبيعة المتدينين ومن ثَم يحصلوا على نتائج أعلى في هذه الدراسات.

وقد أذاع الإعلامي الأمريكي الشهير« جيم كافاناغ Jim Kavanagh في فضائية CNN نتائج دراسة تشير إلى أنه مع الارتقاء في التعليم يكون الإنسان الغربي أكثر ميلًا لأن يقول: «أنا أؤمن بقوى عليا» بدلًا من أن يقول: «أنا أؤمن بالإله « ومن ثم يحسب هؤلاء كملاحدة.

كذلك نشرت صحيفة الديلي عام٢٠١١ نتائج دراسة دقيقة جاء فيها مع تحليل نتائج استطلاع رأى قومي واسع، وجد أن الأفراد يصبحون أكثر تدينًا مع ارتقائهم في التعليم ولا شك أن عوامل عديدة للغاية تحكم ذكاء هذا الكائن غير المحدود -الإنسان -.

حرية الإرادة والاختيار

إذا كان للإلحاد أسبابه النفسية (التنشئةNurture) والشخصية بالإضافة إلى أسبابه العضوية (Nature) المنظومة البيولوجية للإيمان - التوحد) فهل يعني ذلك أن الإنسان مُسير في تبنيه الإيمان أو الإلحاد؟

يجيب بول فيتز عن هذا السؤال من خلال شخصية هتلر فيقول: «كان الكره يملأ هتلر، هذا الكره الذي وقف وراء ما أنزل بالبشرية من مصائب وإذا كان تقصير أبيه الشديد تجاهه، والإساءة إليه كطفل، قد أسهم في نشأة هذا الكره حتى إنه صار يكره نفسه فقناعتنا أن هتلر «قد اختار» أن يُنمي ما بداخله من كره بدلًا من أن يعمل على كبته أو التعامل مع ما يسببه من معاناة».

ويضيف بول فيتز: «باختصار، إن كل شخص يستطيع بإرادته الحرة واختياره أن يتوجه إلى الإله أو أن يبتعد عنه أو أن يقف ضده».

القارئ الكريم:

تعتبر دوافع الإلحاد الشخصية بمثابة منشطات النمو (كالماء والسماء) لما يلقى في التربة من بذور وتتلخص هذه المنشطات في إتباع الذات حسيًّا ونفسيًّا، فبعض هذه الدوافع تتركز في إشباع احتياجات الملحد الاجتماعية والمهنية لأن يتأقلم مع المجتمع ومع وسطه المهني، وأيضًا إشباع احتياجه لأن يحيا تبعًا لنمط معيشي مُعين.

ومن المحزن أن العديد من الرموز الفكرية للبشرية كانوا إباحيين، وكانوا أنانيين مغرورين، وأن اهتمامهم المزعوم بالإنسانية كان كذبًا ونفاقًا يختفي وراءه قدر كبير من القسوة واللامبالاة بأقرب الناس إليهم، خاصة أفراد عائلاتهم.

لذلك ليس من الغريب وجود تعارض صارخ بين النظريات الأكاديمية التي وضعها هؤلاء وبين انحرافاتهم وسوء ممارساتهم الجنسية.

كذلك صار الجنس غير التقليدي - أي ما نتعارف عليه بالشذوذ الجنسي - والحداثة « Modemism » متضافرين متداخلين دون إمكانية للانفصال للأبد، بل ويسعى كثير من هؤلاء لتحطيم كل صاحب فضيلة، وتروج كتابات هؤلاء دائمًا أن الملحدين هم الصفوة الفكرية في المجتمعات، وأنهم يحصلون على معدلات عالمية في اختبارات الذكاء؛ لذلك أصبحت كتب علم النفس والسير الشخصية ملأى بمواقف الكثيرين من كبار وصغار الملاحدة التي تكشف ذلك، فنجد الملحد يعلن إلحاده على الملأ ليحقق الشهرة ليشعر بذاتيته وتميزه، وصدقت المقولة: «بأن الملحد يحتاج لعدو حتى يشعر بذاته».

وإذا كان للإلحاد أسبابه النفسية - التنشئة - والشخصية بالإضافة إلى أسبابه العضوية (المنظومة البيولوجية للإيمان - التوحد) فليس معنى ذلك أن الإنسان مُسير في تبينه الإيمان أو الإلحاد، بل إن كل شخص يستطيع بإراداته الحرة واختياره أن يتوجه إلى الإله أو أن يبتعد عنه أو أنه يقف ضده.

الإلحاد أغبى مذهب

هناك أكثر من عشرين دليلًا على أن الإلحاد هو أغبى مذهب على وجه الأرض؛ لذا سأوجز في عشرين دليلًا على أن الإلحاد هو مذهب غبي ليس هذا فقط بل أغبى المذاهب الفلسفية على الإطلاق وهذه الأدلة يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: الإلحاد يخالف القانون الأول للديناميكا الحرارية:

قانون بقاء الطاقة أو ما يعرف بالقانون الأول للديناميكا الحرارية يقول: (المادة لا تفنى ولا تُخلق من العدم)، وإذا تأملنا هذا القانون نصل إلى استنتاج أن الكون لا يمكن أن يكون من العدم، إذن لا بد من وجود خالق لهذا الكون.

ثانيًا: الإلحاد يخالف القانون الثاني للديناميكا الحرارية:

القانون الثاني للترموديناميك يقول: إن الكون يتجه الآن نحو الموت الحراري وذلك عندما تتساوى حرارة جميع الأجرام والجسيمات، فالكون كما يقول العلماء يتجه نحو التفكك نحو الهدم، نحو الرودة، نحو التبسيط نحو الموت الحراري، بينما يقول الفكر الإلحادي: إن الكون يتجه نحو التعقيد نحو البناء نحو التطور؛ لذلك يعتبر العلماء أن القانون الثاني للترموديناميك يحمل في طياته نهاية الداروينية والتطور الانتقائي وهذه قوانين وليست نظريات، لذا نجد العلماء في جانب والإلحاد والداروينية في جانب آخر تمامًا.

ثالثًا: الإلحاد يخالف القانون الأول لنيوتن:

القانون الأول لنيوتن يقول: إن الجسم الساكن يبقى ساكنًا والمتحرك بسرعة منتظمة يبقى متحركًا ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تؤثر من وضعه

السكوني أو الحركي، وهذا يعني أنه لا بد من قوة خارجية أجبرت هذا الانفجار الكبير أن يحدث وفي تلك اللحظة بالذات، وأجبرت الكون أن يبدأ وفي تلك اللحظة بالذات - وهذه القوة ينكرها الملاحدة -، إن هذه القوة التي خلقت الكون وأوجدته هي قوة الله عز وجل، ومن هنا فإن الإلحاد ينكر ويخالف القانون الأول لنيوتن أيضًا.

رابعًا: الإلحاد يخالف قانون الأخلاق:

الملاحدة يقولون: الأخلاق الأصيلة هي تلك التي تأتي ضد المصلحة الشخصية وضد المادة وضد العقل، فالالتزام الأخلاقي عندهم يمثل قيدًا للإنسان، وكما قال «نيتشه» قديمًا: إن قصور الإنسان في القوة ناتج عن التزامه الأخلاقي، فالأخلاق غير مربحة علميًّا في الفكر الإلحادي، وهكذا فإن الإلحاد يخالف القانون الأخلاقي في الحق القائم على التضحية والمثل العليا والزهد والتبديل والإيثار وغيرها.

خامسًا: الإلحاد لا يجد تفسيرًا لقانون الزوجية:

خلق الله عز وجل من كل كائن حي زوجين، والإلحاد بكل نظرياته لم يجد تفسيرًا لذلك، لماذا الذكر والأنثى؟ لم تأت الداروينية أو أي من نظريات الإلحاد العشوائية أو العبثية بتفسير لوجود الذكر والأنثى وهي التي وجدت للتزاوج من أجل تعمير الكون.

سادسًا: الإلحاد المادي يقع في تناقض مع النفس اللامادية، إنها الحقيقة التي لا ريب فيها ولإيضاح ذلك إذا ارتكب إنسان جريمة ما وأصر على أنه فعلها بدون قصد، ووقع تحت طائلة القانون، فسيسعى كل ما في وسعه لإثبات عدم القصد، مع أنه بالمنظور المادي فالجريمة وقعت وانتهت على أرض الواقع، والمجرم أيضًا معترف أنه مرتكبها لكن يتدخل هنا المشرع الأرضي (القانون) لمعرفة القصد والكنية ومعرفة حالة النفس

أثناء ارتكاب الجريمة، وهل الجريمة وقعت بقصد أم لا؟.. وهنا نضع النفس في مركز أعلى من الحقائق، أعلى من الواقعة المادية المجردة، وهنا يكون الحكم في الحقيقة ليس حكمًا على الحدث المادي، ولكن يكون الحكم على ما يحدث داخل النفس أثناء ارتكاب الجريمة وهذا يعكس التناقض ما بين الإنسان والنفس اللامادية وهكذا حال الإلحاد.

سابعًا: الإلحاد يخالف قوانين الإنسان:

حقوق الإنسان قضية ميتافيزيقية بحتة، فقولك :إن البشر متساوون هذا ممكن فقط إذا كان الإنسان مخلوقًا لله فالمساواة بين البشر هي خصوصية أخلاقية وليست حقيقة طبيعية أو مادية أو عقلية؛ فالناس من المنظور المادي أو الطبيعي أو العقلي بلا شك غير متساويين، وتأسيسًا على الدين فقط يستطيع الضعفاء المطالبة بالمساواة، فهؤلاء الضعفاء أو الفقراء في المال أو الصحة والمستبعدون من موائد الاحتفالات في العالم الذين ليس لديهم ما يعرضونه أو يبرهنون عليه ليس لديهم إلا مدخل الدين وحسب الذي يبرهنون من خلاله أنهم متساوون بل ربما أحسن حالًا عند الله من الأصحاء، وهذا فيه برهان متكرر لقيمة الدين ووجود الله الخالق.

ثامنًا: الإلحاد ينتهك كل الحرمات، فهو لا يعترف بحُرمة ولا بقداسة، ففي رأي الملحد لا قيمة لكومة الفضائل التي ظلت الأديان تؤسس لها طيلة عشرات الآلاف من السنين، وينظر الملحد إلى الأرض على أنها مادة مستغلة، وغايته هي تحقق أقصى إشباع منها أو كما يقول المفكر الإنجليزي جون لوك: إذا كان أمل كل إنسان قاصرًا على هذا العالم، وإذا كنا نستمتع بالحياة هنا في هذه الدنيا فحسب فليس غريبًا ولا مجافيًا للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبناء، لذا فإن القداسة والعفة والطهارة هي أفكار مستمدة من عالم آخر لا علاقة لها بالعالم المادي الداروينى الحتمي البارد، إننا لو كنا حقًّا أبناء هذا العالم لن يبدو لنا فيه

شيء مقدس، هكذا كانت وستظل أفكار الملاحدة تنتهك كل الحرمات ولا تعترف بحرمة ولا قداسة.

تاسعًا: الإلحاد يخالف قانون السببية:

قانون السببية يقول العدم لا يصنع شيئًا ولكل سبب مسبب، وهذه بداهة عقلية مركوزة في الأذهان، فهي أعلى من القانون، وعليها تقوم علوم الدنيا ومقاصد الغايات، ويقول ديكارت: «أنا موجود فمن أوجدني ومن خلقني، أنني لم أخلق نفسي، فلا بد لى من خالق وهذا الخالق لا بد أن يكون واجب الوجود وغير مفتقر إلى من يوجده، ولا بد أن يكون متصفًا بكل صفات الكمال ولا يخطر ببالنا أن ننكر هذه البداهة العقلية بحجة أن وهمًا عقليًّا يتطلب منا تسلسل العلل إلى غير نهاية، فهذا باطل عقلًا أو بحجة عدم معرفتنا، لكن العلة وقانون السببية ليس قائمًا على المشاهدة كما يدعي الملاحدة فحواسنا إنما ترينا صورًا عن ظواهر مفككة متتابعة ولا ترينا أبدًا علاقة السببية، فكيف نعرف هذه العلاقة إلا إذا كان العقل فيه قوانين منظمة فطرية يستطيع بها أن يدرك الإحساس ثم يصدر أحكامًا إنشائية جديدة لا يعتمد فيها على الإحساس... هذا ما قاله ديكارت وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الإلحاد يخالف قانون السببية؛ لأنه يعترف أن سبب وجودنا هو الله خالقنا فكيف يمكن إنكاره.

عاشرًا: الإلحاد يخالف قانون القصد والغاية:

الحقيقة المؤكدة تقول: إن كل الموجودات على سطح الأرض موافقة لوجود الإنسان بل وتعمل تبعًا له، فليس غريبًا أن نقول: إن كل ما حولنا يخضع لمتطلباتنا من ليل ونهار، وفصول أربعة، والمكان، والهواء، والجزيئات المحيطة، ومدى موافقة كل ذلك لطبيعة الإنسان وحاجياته، وليس مجافيًا للحقيقة أن نقول إن هذا التناغم في الكون هو مصمم خصيصًا

للجنس البشري، ولعلنا نلاحظ أنه بمجرد غسل يد الإنسان تموت آلاف البكتريا، فالإنسان هو العنصر الثابت في تاريخ العالم، وتظل روحه وقيمه الأخلاقية لا تتغير، فالإنسان كان وسيبقى هو الإنسان لا تتغير طبيعته ولا مراداته، وهكذا يتأكد لنا أن الإلحاد يخالف قانون القصد والغاية الموجود حولنا في كل شيء.

حادي عشر: الإلحاد يخالف الغائية:

الغائية هي الغاية التي من أجلها أوجدنا الله عز وجل على الأرض، لقد خلقنا الله لعبادته وهذه هي الغاية، فهل وجد الإنسان على الأرض للعبث فيها، العلم في تقدم مستمر، وكل أبحاث العلماء مؤسسة على وجود قوانين تحكم هذا العالم، وتحكم المادة فيه، وغاية العلم في كل بحث هو إيجاد القانون الذي يحكم هذه القضية، فالعالم غائي أي له غاية، والعلم الغائي أي له هدف ولذا فهو في تقدم مستمر، ولولا إقرار العلم مسبقًا بوجود قانون يحكم كل شيء لما تقدم العلم خطوة واحدة، وهنا يكمن التناقض المبدئي بين الإلحاد العبثي والعلم الغائي، ولا يتصور أن يكون كل ما حولنا ذو قانون غائي يحكمه ويكون الإنسان هو الفذ الوحيد العبثي في الكون، لذا نؤكد على إن الإلحاد يخالف الغائية من وجود هذا الكون ومن وجود الإنسان أصلًا.

ثاني عشر: الإلحاد يخالف قانون التناسق:

يقول عالم الفيزياء الشهير «لبينتز»:

إن الذرات تسير بإرادة الله عز وجل وتعمل بقدراته بصورة يظهر منها أنها تتصل ببعضها وهي في الحقيقة لا تتصل ولكن قدرة الله تجعل كل ذرة تسير سيرًا يوافق سير الذرات الأخرى، فالذي يظهر لنا من هذا التوافق هو أثر قانون التناسق فإن المادة لا تعقل القوانين التي تطبق عليها، ولا يوجد واجب عقلي يحتم أن تغلي الماء عند درجة مائة، وأن تتباعد جزيئات الماء عند الغليان

وكما يقول العالم «هيوم»: إن العلم الذي يفسر ذلك هو علم فج جدًّا فهو لا يقوم بأكثر من إقرار الحالة فحسب دون أن يقدم مبررات لذلك، ولا محيص أمامنا من الاعتراف بقانون التناسق السابق التوطيد، وهو يعني أن قدرة الله وحكمته لم تجد تفسيرًا علميًّا لديهم؛ لذا فإن الإلحاد يخالف قانون التناسق السابق التوطيد.

ثالث عشر: الإلحاد يخالف مبدأ «باركلي» الشهير:

يقول العالم «هيوم» ليس من دليل يُحتم علينا الاعتقاد بوجود شيء ما إذا غاب عن حواسنا، ولا دليل يرغمنا على الاعتقاد بأن الشيء الذي رأيناه اليوم ثم تركناه وعدنا لنراه في اليوم الثاني هو هو نفس الشيء الذي رأيناه في اليوم الأول، فنحن لا نعمل عن العالم الخارجي إلا ما في أذهاننا من مدركات حسية، والعقل يحتم وجود عقل كلي أكبر يستوعب جميع الأشياء ويكون شهيدًا عليها... وذلك حسب مبدأ «باركلي الشهير».

ومن يبحث عنه هؤلاء العلماء (موجود) ولو آمنوا لأدركوا وجوده، إنه الله العلي القدير الخالق المتحكم المدبر لذلك الكون.

رابع عشر: الإلحاد هو المؤسس لأكثر المذاهب الإجرامية في الأرض، يقول المفكر «سه غور»: إن مذهب الداروينية من المذاهب المرذولة التي لا يؤيدها إلا أحط النزعات وأسفل المشاعر فأبوها الكفر وأمها القذارة، ولم تقم النازية الهتلرية إلا على تفاضل الأجناس والأعراف.

• يقول الملحد (ماوتسي تونج) السفاح البشري الذي قتل أكثر من ٥٠ مليون قتيل صيني: (جميع الحيوانات السُّفلية سوف تُعدم وكل من وقف ضد الثورة هو خطأ تطوري).

كما قال في خطاب شهير له ألقاه في ٩ ديسمبر ١٩٥٨: المقابر الجماعية سوف توفر سمادًا جيدًا للأرض.

• قال الملحد «لينين»: لا رحمة لأعداء الشعب بل اقتلوا واشنقوا وصادروا.

• يقول الملحد «كارل ماركس»: حينما يتهمنا الناس بالقسوة فنحن نتساءل: كيف نسى هؤلاء أساسيات الماركسية؟

وهكذا كان الإلحاد مؤسس لأكثر المذاهب الإجرامية من شيوعية وماركسية وداروينية وغيرها.

خامس عشر: الإلحاد ضد الفن والحياة:

الإلحاد ضد الفن وضد الحياة فهو يروج للجنس على اعتباره نوع من أنواع الفن وكان رواج فنون الباليه في روسيا الشيوعية على أساس أنه نوع من أنواع الفن وهو بعيد كل البعد عنها فالفن روح وحياة سمو بالنفس البشرية وليس تغذية للغرائز على الإطلاق لذا كان الإلحاد ضد الفن وضد الحياة.

سادس عشر: الإلحاد ضد الحضارات:

الإلحاد ليس أكثر من شذوذ فكري وتلوث عقلي في تاريخ الأمم، يقول المفكر «ول ديورانت» في كتابه القيم (قصة الحضارة :(ربما توجد مدن بلا أسوار، بلا جيوش، بلا مصانع ولكن لا توجد مدينة بلا معبد، أي أن أي حضارة كانت تؤمن بوجود الإله لذا كان وسيظل الإلحاد ضد الحضارات؛ لذا فإن الإلحاد هو توجه شاذ يظهر بصورة وقتية وسرعان ما يختفي، ولو كان ينفع الناس لمكث في الأرض طويلًا.

سابع عشر: الإلحاد ضد نظرية الانفجار العظيم ذاتها:

عندما أطلقت وكالة ناسا الأمريكية عام ١٩٨٩ قمرًا صناعيًّا للكشف عن الإشعاع الكوني المتخلف عن الانفجار العظيم، وتجميع معلومات بشأن هذا الإشعاع استطاع القمر في ٨ دقائق فقط أن يعطي صورة كاملة

للإشعاع، وبها ما يثبت أن الكون محدث منذ عدة آلاف من السنوات وليس منذ مليارات السنين كما زعم الملاحدة، وهذا ما أوقع الملاحدة في حرج كبير حيث ثبت أن نظريتهم الإلحادية التي اعتمدوا عليها غير صحيحة.

ثامن عشر: الإلحاد يخالف العلم:

ثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن كل النظريات الإلحادية خالفت صحيح العلم، وكل ما ذهب إليه أرسطو وسقراط وأفلاطون لا أساس علمي لما جاء في آرائهم ونظرياتهم للكون والخالق.

تاسع عشر: الإلحاد لا يعطي تفسيرًا ولا حلًّا:

لم يعط الإلحاد بنظرياته فكرًا إنسانيًّا واحدًا، ولم يعط حلًّا لمشكلة بل على العكس كان الفكر الإلحادي سببًا لكل المشاكل والأزمات، فالتاريخ الحديث والمعاصر يؤكد على أن الماسونية والصهيونية كان وراء الأزمات الاقتصادية العالمية الكبرى، وأيضًا سببًا مباشرًا لقيام الحربين الأولى والثانية.

عشرون: الإلحاد يتنافى مع العلم:

العلم قائم على التجربة والمشاهدة والاستنتاج، والإلحاد قائم على الرأي ومناقضة الآراء دون إثبات أو دليل أو برهان للاستناد إلى حقائق غير مؤكدة؛ لذا يتنافى مع العلم وأسسه، يعترف أخيرًا عالم الفيزياء فريدريش بريهام مؤلف كتاب تاريخ العلم قائلًا: في الوقت الحالي الأوساط العلمية تعتبر فكرة خلق الله للكون فكرة محترمة أكثر من أي وقت مضى منذ مئات السنين.

بانوراما الإلحاد آفة كل عصر

الإلحاد بمعناه الواسع عدم الاعتقاد أو الإيمان بوجود الآلهة، وبالمعنى الضيق يعتبر الإلحاد على وجه التحديد موقفًا ضد أن توجد آلهة، عمومًا يشير مصطلح الإلحاد إلى غياب الاعتقاد بأن الآلهة موجودة، ويتناقض هذا الفكر مع فكرة الإيمان بالله أو الألوهية إذ أن مصطلح الألوهية يعني الاعتقاد بأنه يوجد على الأقل إله واحد.

تبلور مصطلح الإلحاد عقب انتشار الفكر الحر والشكوكية العلمية وتنامي نشاط التيارات الفكرية في تعدد الأديان، حيث مال الملحدون الأوائل إلى تعريف أنفسهم باستخدام كلمة «ملحد» في القرن الثامن عشر في عصر التنوير، وشهدت الثورة الفرنسية أول حركة سياسية في التاريخ للدفاع عن سيادة العقل البشري فضلًا عن تيار من الإلحاد لم يسبق له مثيل.

تتراوح الحجج الإلحادية بين الحجج الفلسفية إلى الاجتماعية والتاريخية حيث إن المبررات لعدم الإيمان بوجود إله تشمل الحجج وأن هناك نقصًا في الأدلة التجريبية على الرغم من أن بعض الملحدين تبنى فلسفات علمانية - مثل الإنسانية والتشكك - إلا أنه ليس هناك أيديولوجية واحدة أو مجموعة من السلوكيات التي يلتزم بها الملحدون جميعًا، كما لا توجد مدرسة فلسفية واحدة تجمع الملحدين، فمنهم من ينطوي تحت لواء المدرسة المادية أو الطبيعية، والكثير يميلون باتجاه العلم والتشكيك خصوصًا فيما يتصل بعالم ما وراء الطبيعة، يرى بعض الملحدين بأنه ليس هناك عناد بين الإلحاد وبين البوذية؛ لأن البوذيين أو بعضهم يعتنقون البوذية ولكنهم لا يعتقدون بوجود إله.

كما يرى كثير من الملحدين أن الإلحاد نظرة أكثر صحة من الألوهية وبالتالي فإن عبء الإثبات لا يقع على عاتق الملحد لدحض وجود الله بل

على المؤمن بالله تقديم مبررات للإيمان به حسب قولهم.

بسبب تعدد مفاهيم الإلحاد فإنه من الصعب معرفة التقديرات الدقيقة عن الأعداد الحالية للملحدين وقد أجريت عدة استطلاعات عالمية شاملة حول هذا الموضوع أبرزها استطلاع قامت به مؤسسة غالوب الدولية سنة ٢٠١٥م حيث شارك في الاستطلاع أكثر من ٦٤,٠٠٠ مشاركًا، أشار ١١٪ منهم إلى أنه «ملحد بقناعة»، في حين كانت نتيجة سنة ٢٠١٢م في استطلاع سابق ١٣٪ من أفراد العينة عرفوا عن أنفسهم أنهم «ملحدين بقناعة»، وبحسب مسح من قِبل هيئة الإذاعة البريطانية في عام ٢٠٠٤م وجد أن نسبة الملحدين كانت حوالي ٨٪ من سكان العالم.

ووفقًا لدراسات أخرى فإن معدلات الإلحاد هي الأعلى في أوروبا وشرق آسيا ٤٠٪، وفي فرنسا ٣٩٪، وفي بريطانيا ٣٤٪، وفي السويد ٢٩٪، وفي النرويج ١٥٪، وفي ألمانيا ٢٥٪، وفي بولندا والنمسا ١٢٪ أجابوا أنهم لا يؤمنون بوجود أرواح أو آلهة أو قوة خارقة، وجاءت النسب أعلى لمن عبروا عن إيمانهم بوجود روح أو قوة ما وهؤلاء يطلق عليهم لادينيين أو لا أدريين، وبلغت النسب في شرق آسيا ٦١٪، وفي الصين وفي كوريا الجنوبية ٤٧٪، بينما تعد اليابان حالة معقدة إذ تبني الفرد الواحد أكثر من معتقد في وقت واحد، وفي أمريكا الشمالية ١٢٪ في الولايات المتحدة يعتبرون أنفسهم ملحدين و ١٧٪ لا أدريين، و٣٧٪ يؤمنون بوجود روح ما ولكنهم لادينيين و ٢٨٪ في كندا.

الإلحاد في اللغة العربية

يقول معجم لسان العرب: معنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد، ولحد إليه بلسانه: مال، وقال الأزهري في قول القرآن ﴿لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ قال الفراء: قرئ ﴿يلحدون﴾ فمعنى يلحدون يميلون إليه وملحدون يعترضون وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء.

اللاربوبية:

تم استخدام كلمة (اللاربوبية) كترجمة عربية لكلمة (Atheism) في الحملة العلنية لظهور اللاربوبية (الملحدين) والتي دعا إليها العالم «ريتشارد دوكنز» إلى جانب كلمة (إلحاد) كمحاولة لإشهار كلمة ثانية لا تحمل معنى سلبي من حيث اللغة وتعطي المعنى المطلوب المتمثل بعدم الاعتقاد بإله أو آلهة، لكن بالرغم من ذلك فكلمة (إلحاد) هي المستخدمة بصورة شائعة حتى من قِبل الملحدين العرب.

تاريخ الإلحاد:

في تاريخ العرب هناك أدلة على وجود ملحدين من قبل الإسلام باسم آخر وهم طائفة الدهريين الذين كانوا يؤمنون بقِدم العالم وأن العالم لا أول له ويذكرهم القرآن: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ [سورة الجاثية الآية: ٢٤] لذا فقد ألف جمال الدين الأفغاني كتابًا للرد على الملحدين المعاصرين وأسماه «الرد على الدهريين»، أما الإلحاد فكانت تستخدم للذين لا يتبعون الدين وأوامره باعتبار الدين منزل أوامر ممن لديه الآلهة وفي الكتب المقدسة نجد ذكرًا لأشخاص أو جماعات لا يؤمنون بدين معين أو لا يؤمنون بفكرة يوم الحساب أو كانوا يؤمنون بآلهة على شكل تماثيل - أصنام - كانت غالبًا

ما تُصنع من الحجارة.

يبدو أن فكرة إنكار وجود الخالق من الأساس كانت فكرة مستبعدة تمامًا ولم تلق قبولًا شعبيًّا في كل العصور إذ يقول المؤرخ الإغريقي: «بلو تارك» لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ومدن بلا جيوش ومدن بلا قصور ومدن بلا مدارس ولكن لم توجد مدن بلا معابد.

أما بعد انتشار الدين الإسلامي وهو ما يتم إسقاطه سهوًا لدى الكثير عند حديثهم عن تاريخ الإسلام فقد وجد أنواع كثيرة من الملحدين.

فمن هؤلاء من كان يحاول التشكيك في بعض التراث الديني لغرض التشكيك في الدين نفسه وهم حقيقة كانوا يتبنون فلسفات دينية شرقية أخرى كالمانوية ومن أمثلتهم «ابن المقفع".

ظهرت فيما بعد بعض العقول التي بدأت تشكك في صحة النبوة، وهل يحتاج إله إلى بشري ليبلغ عنه، وبعض الشواهد تبدي ميل إلى إنكار الفكر اللاهوتي بأكمله لولا أنه وقتها لم يكن لهم من لغة فلسفة العلم الحديث ما يكفي للحديث بجرأة كافية بأمور وجود الله، وابن الرواندي واحدًا من هؤلاء الفلاسفة المتشككين بالدين الإسلامي، حيث شهدت حياته تحولات مذهبية وفكرية كبيرة فقد كان في بداياته العلمية واحدًا من المعتزلة ولكن تحول عن المعتزلة وانتقدها بشدة في كتابه «فضيحة المعتزلة»، ثم اعتنق لبرهة وجيزة الإسلام الشيعي وله كتاب «الإمامة» وهو من آثار تشيعه القصير، ولكن لقاءه «بأبي عيسى الوراق» الذي كان ملحدًا فجعله يرفض قبول الإسلام وتحول بعدها ابن الرواندي ليصبح ملحدًا من أهم اللاأدريين في التاريخ الإسلامي، وما يستحق الذكر أن أغلب ما كتبه هو أو غيره تم إتلافه أو ضياعه لشدة محاربتهم له وأغلب الباحثين عندما يلجؤون لنصوصهم إنما يذهبون للكتب الدينية التي تولت الرد على ابن الرواندي أو

غيره فضمن هذه الكتب كان يتم إيراد فقرات طويلة واقتباسات من كتب ابن الرواندي ليتم الرد عليها بالكتاب نفسه، أبرز وأزهى مرحلة وصل لها الإلحاد كانت على يد أبي بكر الرازي، والكثير يجهل هذه الحقائق لسبب ما فهو أحد النوادر الذين تحرروا من فكرة ارتباط الإلحاد بسبب ميله لفلسفات شرقية مثلًا أو غيرها أو محاولة التستر بإظهار بعض الإيمان بالله وأمور عقائدية والعودة لاحقًا إلى مهاجمة الرسل والتشكيك في صحتهم وهذا ما لم يكن يفعله أبو بكر الرازي فقد كان فذ العقل لدرجة منعته من الرضوخ، ومن كتبه على سبيل الذكر «خوارق الأنبياء»، وأنكر عن المعتزلة محاولة إدخال العقل بالدين بحجة أن الفلسفة والدين لا يجتمعان ومن مقولاته:

• إنكم تدعون أن المعجزة قائمة موجودة وهي القرآن «من أنكر ذلك فليأت بمثله» إن أردتم أن نأتي بمثله في الوجوه التي يتفاضل بها الكلام فعلينا أن نأتيكم بألف مثله من كلام البلغاء والفصحاء والشعراء وما هو أطلق ألفاظًا وأشد اختصارًا في المعاني وأبلغ أداء وعبارة وأشكال سجعًا، فإن لم ترضوا بذلك فإنا نطالبكم بمثل ما طالبكم به.

• قد والله تعجبنا من قولكم القرآن معجزة وهو مملوء من التناقض وهو أساطير الأولين وهي خرافات.

• وأيم الله لو وجب أن يكون كتاب حجة لكانت كتب أصول الهندسة والمجسطي الذي يؤدي إلى معرفة حركات الأفلاك والكواكب ونحو كتب المنطق وكتب الطب الذي فيه علوم مصلحة للأبدان أولى بالحجة مما لا يفيد نفعًا أو ضررًا ولا يكشف مستورًا.

هؤلاء الثلاثة مثلوا أهم تطورات الإلحاد بمراحله في التاريخ الإسلامي لغيرهم من الملحدين أو الزنادقة على حد تعبير الفقهاء، فمثلًا قد يعتبر منهم أبو العلاء المعري الذي اعتزل الحياة في آخر حياته وصام عن أكل

اللحوم أو أبو نواس وجماعته.

- اللادينية وعلاقتها بالإلحاد:

اللادينية مصطلح يعني عدم الإيمان بأي دين ورفض جميع الأديان لكونها - حسب رأيهم - صنع ونتاج فكري وبشري واللادينية هي عنوان عريض يندرج تحته الكثير من التوجهات والقناعات الفكرية والفلسفية والعلمية المرتبطة بالأسئلة الجوهرية عن خلق الكون ومغزاه وعن السياسة والأخلاق، ولكن تعريف اللادينية بشكل بسيط: الاعتقاد أن أي دين من صنع الإنسان وليس من عند إله.

أما عن علاقة اللادينية بالإلحاد فالملحد هو لاديني، ولكن العكس لا يشترط الصحة حيث لا يوجد علاقة معينة باللادينية والآلهة.

يقسم البعض اللادينيين من حيث نظرتهم إلى الآلهة لثلاثة فروع:

١ - الملحدون: وهم الذين يرفضون فكرة وجود قوى فوق طبيعية كالآلهة رفضًا صريحًا.

٢ - اللاأدرية: وهم الذين لا يتخذون موقفًا معينًا من قضية الآلهة باعتبارها كما يعتقدون مسألة علمية ولا تحمل أهمية جوهرية بالنسبة للإنسان، فهم لا يرفضون ولا يعتقدون بوجود الآلهة.

٣ - الربوبيون: وهم الذين يعتقدون بوجود قوة مسيرة للكون قد لا تكون بمفهوم الإله الشخص أو الخالق في الوقت الذي ينغمرون فيه ضمن إطار اللادينية.

- أسباب الإلحاد:

يعلل الملحدون رؤاهم إلى أسباب فلسفية نابعة من التحليل المنطقي والاستنتاج العلمي حيث يشير كثير من الملحدين إلى النقاط أدناه:

• عدم وجود أي أدلة أو براهين على وجود إله، ويرون أن وجود إله متصف بصفات الكمال من الأزل هو أكثر صعوبة وأقل احتمالًا من نشوء الكون بمعضلة أكبر وهي كيفية وجود الإله الكامل منذ الأزل، وبالتالي لا بد أن التعقيد قد نشأ من حالة بسيطة كتفسير تنوع وتعقيد الكائنات الحية كما تشرحه نظرية التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي، بالرغم من أن المؤمنين يردون عليهم أن: حتى نظرية داروين قائمة على قوانين لا بد من وجود خالق لوضعها، كما أن النظرية لم تفسر كيف نشأت أول خلية، حتى أن أول خلية نرى أن تعقيدها لا ينتهي ويتطلب وجود خالق لها.

• فكرة الشر أو الشيطان في النصوص الدينية: يري بعض الملحدين (أبيقور ونيتشه في الفلسفة الحديثة مثلًا) أن الجمع بين صفتي القدرة المطلقة والعلم المطلق يتعارض مع صفة العدل المطلق للإله وذلك لوجود الشر في العالم (من صاحب هذا الرأي)، ولا ترى المذاهب الإسلامية السائدة تعارضًا بين وجود الشر ووجود إله عليم وقدير وعادل، بينما تذهب المعتزلة إلى نفي خلق الله لأفعال العباد لأجل تنزيه الإله عن فعل الشر لكن ذلك لا يرد على الشر الناتج عن الحوادث الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها كالزلازل مثلًا (من صاحب هذا الرأي).

• وتدخل أسباب اللادينية ضمن أسباب الإلحاد لأن كل الملحدين لادينيون نسبة إلى الأديان الإبراهيمية (لكن العكس غير صحيح فالربوبي يؤمن بإله دون دين).

- أنواع الإلحاد:

بسبب التعريف غير الواضح لعالم مصطلح الإلحاد، ووجود تيارات عديدة تحمل فكرة الإلحاد، نشأت محاولات لرسم حدود واضحة عن معنى الإلحاد الحقيقي وأدت هذه المحاولات بدورها إلى تفريعات وتقسيمات

ثانوية لمصطلح الإلحاد وتبرز المشكلة أن كلمة الإلحاد هي ترجمة لكلمة إغريقية وهي (Atheos) وكانت هذه الكلمة مستعملة من قِبَل اليونانيين القدماء بمعنى ضيق وهو «عدم الإيمان بإله».

وفي القرن الخامس قبل الميلاد تم إضافة معنى آخر للإلحاد وهو إنكار فكرة الإله العظيم الخالق، كل هذه التعقيدات أدت إلى محاولات لتوضيح الصورة ونتجت بعض التصنيفات ومن أبرزها:

- إلحاد قوي أو إلحاد موجب وهو نفي وجود إله.
- إلحاد ضعيف أو إلحاد سالب وهو عدم الاعتقاد بوجود إله.

الفرق بين الملحد الموجب والسالب هو أن الملحد الموجب ينفي وجود إله وقد يستعين بنظريات علمية وفلسفية لإثبات ذلك، بينما الملحد السالب يكتفي فقط بعدم الاعتقاد بالله نظرًا لعدم قناعته بالأدلة التي يقدمها المؤمنون.

هذان التعريفان كانا نتاج سنين طويلة من الجدل بين الملحدين أنفسهم ففي عام ١٩٦٥م كتب الفيلسوف الأمريكي من أصل تشيكي إيرنست نيجل (١٩٨٥ - ١٩٠١) «إن عدم الإيمان ليس إلحادًا، فالطفل الحديث الولادة لا يؤمن لأنه ليس قادرًا على الإدراك، وعليه يجب توفر شرط عدم الاعتقاد بوجود فكرة الإله»، وفي عام ١٩٧٩م قال الكاتب «جورج سميث»: الملحد القوي هو شخص يعتبر فكرة الإله فكرة غير منطقية وغير موضوعية، وهو إما مستعد للحوار أو وصل إلى قناعة في اختياره ويعتبر النقاش في هذا الموضوع نقاشًا غير ذكي ولكن البحث والتقصي يكشف لنا أن معظم المفكرين والعلماء الذين أعلنوا الإلحاد لم يتمتعوا بهذه الصفة إذ يقول: «موريس بلوندل:» ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة.

وأوضح «سميث »أن هناك فرقًا بين رجل الشارع البسيط الذي ينكر فكرة

الإله لأسباب شخصية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية، والملحد الحقيقي الذي استنادًا إلى سميث يجب أن يكون غرضه الرئيسي هو الموضوعية والبحث العلمي وليس التشكيك أو مهاجمة أو إظهار عدم الاحترام للدين.

ولكن بالرغم من هذه التوضيحات بقيت مسألة عالقة في غاية الأهمية لم تُحسم حتى الآن وهو التطبيق العلمي على أرض الواقع والحياة العلمية لفكرة الإلحاد، فالأديان تشجع الإنسان على اتباعها لما يجده فيها من التزام أخلاقي مريح، بل إنها أيضًا تقدم له حلولًا عقلية مريحة أيضًا للقضايا الفلسفية الكبرى حول الوجود والغاية من الحياة، وقد يلتقي الملحد الحقيقي مع المؤمن بدين معين في فكرة احترام وجهة نظر المقابل وعدم استصغار أو تحقير أية فكرة إذا كانت الفكرة مبعث طمأنينة لشخص ما وتجعله شخصيًا بناءة في المجتمع، فبعض الملحدين لديهم فكر حضاري قائم على مبادئ حقوق الإنسان بالرغم من أن بعضهم أيضًا يبدى سلوكًا متطرفًا نحو المؤمنين بالإله. أي بمعنى آخر التعصب نحو الإلحاد هو نفسه التعصب المذهبي لأي دين، فالتعصب موجود عند بعض الملحدين وهو بدوره يؤدي إلى فكر إلحادي متطرف نحو المؤمنين بوجود إله، والأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة الموجودة في قلب أي إنسان ولكنها تقترب من الكمال عند الالتزام بمنهج معين وهذا لا يمنع أي ملحد من الاتصاف بها لأن من الفطرة الإنسانية الأخلاق الحميدة.

- بدايات الإلحاد:

استنادًا إلى الأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة الموجودة في قلب أي إنسان ولكنها تقترب من الكمال عند الالتزام بمنهج معين وهذا لا يمنع أي ملحد من الاتصاف بها لأن من الفطرة الإنسانية الأخلاق الحميدة.

بدايات الإلحاد:

استنادًا إلى كارين ارسترونغ في كتابها «تاريخ الخالق الأعظم» فإنه ومنذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن التاسع عشر وقع التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهده الغرب، بدأت بوادر تيارات أعلنت استقلالها عن فكرة وجود الخالق الأعظم، وهذا العصر كان عصر كارل ماركس وتشارلز داروين وفريدريك نيتشه وسيجموند فرويد الذين بدأوا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم أي دور فيها، وقد ساهم في هذه الحركة الموقف الشهير للديانة المسيحية في القرون الوسطى وما تلاه من الحروب والجرائم والانتهاكات للإنسانية التي تمت في أوروبا باسم الدين نتيجة تعامل الكنيسة الكاثوليكية بما اعتبرته هرطقة أو خروجها عن مبادئ الكنيسة؛ حيث قامت الكنيسة بتشكيل لجنة خاصة لمحاربة الهرطقة في عام ١١٨٤م وكانت هذه اللجنة نشيطة في العديد من الدول الأوروبية وقامت هذه اللجنة بشن الحرب على أتباع المعتقد الوثني في غرب أوروبا والوثنية هي اعتقاد بأن هناك موثقين أو خالقين يسيطرون على الكون يمثل أحدهما الخير والآخر الشر.

استمرت هذه الحملة من ١٢٠٩م إلى ١٢٢٩م، وشملت أساليبهم حرق المهرطقين وهم أحياء وكانت الأساليب الأخرى المستعملة متطرفة وشديدة حتى بالنسبة لمقاييس القرون الوسطى، وكانت بناء على مرسوم عن الناطق باسم البابا» قيصر هيستريباخ Caesar of Heisterbach « الذي قال: «اذبحوهم كلهم»، واستمرت هذه الحملة لسنوات وشملت أكثر من عشر مدن في فرنسا وتلت هذه الحادثة خسائر بشرية كبيرة والتي وقعت أثناء الحملات الصليبية، ولم يقف الأمر عند العلماء فحتى الأدباء أعلنوا وفاة فكرة الدين والخالق، ومن أبرز الشعراء في هذه الفترة (وليم بليك William Blake ١٧٥٧ - ١٨٢٨) حيث قال في قصائده: إن الدين

أبعد الإنسان عن إنسانيته بفرضه قوانين تعارض طبيعة البشر من ناحية الحرية والسعادة، وأن الدين جعل الإنسان يفقد حريته واعتماده على نفسه في تغيير واقعه.

وبدأت تدريجيًّا وخاصة على يد الفيلسوف الألماني أرثر شوبنهاور (١٨٦٠ - ١٧٨٨) بروز فكرة أن «الدين هو من صنع البشر ابتكروها لتفسير ما هو مجهول لديهم من ظواهر طبيعية أو نفسية أو اجتماعية»، وكان الغرض منه تنظيم حياة مجموعة من الناس حسب ما يراه مؤسس الدين مناسبًا وليس حسب الحاجات الحقيقية للناس الذين قرروا) لجهل أو لضعف) الالتزام بمجموعة من القيم البالية، وأن من المستحيل أن تكون كل هذه الديانات من مصدر واحد، فالإله الذي أنزل ١٢ مصيبة على المصريين القدماء وقتل مولودهم الأول ليخرج اليهود من أرض مصر هو ليس نفس الإله الذي ينصحك بأن تعطي خدك الآخر ليتعرض للصفع دون أن تعمل شيئًا، وتزامنت هذه الأفكار مع أبحاث التكثيف التي يقول بها الدين وهي أن يعطيك الخالق مجموعة من الغرائز والتطلعات، وفي نفس الوقت يصدر تعاليم بحرمانك منها في الحياة ليعطيك إياها مرة أخرى بعد الموت، خصوصًا وأن رجال الدين في أوروبا آنذاك كانوا يميلون إلى الرهبانية والانقطاع عن الدنيا، وهكذا أخذت أفكار الملحدين في هذه المرحلة منحنى الفتور من الدين لتناقضه مع العقل - حسب رأيهم - مع تصرفات وتعاليم الكنيسة.

ولقد اعتبر كارل ماركس الدين أفيون الشعوب يجعل الشعب كسولًا وغير مؤمن بقدراته في تغيير الواقع، وأن الدين تم استغلاله من قبل الطبقة البرجوازية لسحق طبقة البسطاء.

أما سيجموند فرويد فقد قال: إن الدين هو وهم كانت البشرية بحاجة

إليه في بداياتها، وأن فكرة وجود الإله هو محاولة من اللاوعي للوصول إلى الكمال في شخص مثل أعلى بديل لشخصية الأب؛ إذ أن الإنسان في طفولته - حسب اعتقاد فرويد - ينظر إلى والده كشخص متكامل وخارق، ولكن بعد فترة يدرك أنه لا وجود للكمال فيحاول اللاوعي إيجاد حل لهذه الأزمة بخلق صورة وهمية لشيء اسمه الكمال.

كل هذه الأفكار وبصورة تدريجية ومع التغيرات السياسية التي شهدتها فرنسا بعد الثورة الفرنسية وبريطانيا بعد عزل الملك جيمس الثاني من إنكلترا عام ١٦٨٨م وتنصيب الملك وليام الثالث من إنكلترا والملكة ماري الثانية من إنكلترا على العرش كان الاتجاه السائد في أوروبا هو فصل السياسية عن الدين، وإلغاء العديد من القيود على التعامل والتعبير التي كانت مفروضة من السلطات السابقة التي كانت تأخذ شرعيتها من رجالات الكنيسة.

الإلحاد في العالم الإسلامي

واجهت فكرة الإلحاد جدارًا صعبًا في بداية انتشار الاستعمار الأوروبي لعدد من الدول الإسلامية، ويعتقد معظم المستشرقين والمؤرخين أن الأسباب التالية لعبت دورًا مهمًّا في صعوبة انتشار فكرة الإلحاد الحقيقي في العالم الإسلامي حتى يومنا هذا:

• قلة أعداد العلماء وضعف المستوى التعليمي في العالم العربي والإسلامي بشكل عام، حيث أشارت دراسة نشرت في مجلة الطبيعة (Natuer) أن الغالبية العظمى من العلماء والعباقرة ملحدون، وأن نسبة التدين انخفضت بين العلماء من ٧٠٪ عام ١٩١٤ إلى ٢٧٪ عام ١٩٩٨م، لكن الإحصائيات الحديثة أثبتت عكس ذلك حيث إن ٦٠٪ من العلماء المرموقين مؤمنين بوجود الخالق وذلك من خلال دراسة أجراها معهد Pew إذ وجدوا أن من كل عشرة علماء هناك أربعة ملاحدة فقط.

• طبيعة المجتمع الشرقي الذي هو عبارة عن مجتمع جماعي بعكس الأوروبي الذي يتغلب عليه صفة الانفرادية فالإنسان الشرقي ينتمي لمجتمعه وأي قرار يتخذه يجب أن يراعي فيه مصلحة مجموعة أخرى محيطة به قبل مصلحته أو قناعته الشخصية، فالإنسان الغربي لديه القدرة على إعلان الإلحاد كقرار فردي بعكس الإنسان الشرقي الذي سيصبح معزولًا عن أقرب المقربين إليه إذا أعلن إلحاده.

• بعد إسقاط الدولة العثمانية حاول مصطفى كمال أتاتورك (١٩٣٨ - ١٨٨١) بناء دولة علمانية وإلحاق تركيا بالمجتمع الأوروبي، فقام بإغلاق جميع المدارس الإسلامية وشملت المحاولة منع ارتداء العمامة أو رموز أخرى فيها إشارة إلى الدين.

• أما في إيران فقد تأثر رضا خان الذي حكم من عام (١٩٢٥ - ١٩٤١) بمبادرة أتاتورك فقام بمنع الحجاب، وأجبر رجال الدين على حلق لحاهم، وقام بمنع مواكب العزاء أثناء عاشوراء، وبالرغم من أن هذه المحاولات كانت مفاجئة وقهرية ومعارضة للإسلام الذي ظل منتشرًا لأكثر من ألف عام فإنها حققت هدفها وهو منع رموز الدين في المجال العام، وإعادة بناء هذين المجتمعين الإسلاميين على أساس العلمانية وتهميش العناصر الدينية فيها، ومع أن فكرة العلمانية التي انتشرت في أوروبا كانت موجهة ضد تدخل الكنيسة الكاثوليكية في السياسة والعلم، تم تعميم هذه الظاهرة وتطبيقها على العالم الإسلامي من قِبل بعض السياسيين المتأوربين كأتاتورك والشاه وغيرهما، وإن مبادئ العلمانية كفصل الدين عن الدولة لا يتناسب مع الدول الكاثوليكية فحسب بل إنه يمكن تطبيقها على المجتمعات الدينية جميعها كذلك، فإذن لا تمثل العلمانية ظاهرة تاريخية أوروبية غير متعلقة بالعالم الإسلامي لأنها صارت ظاهرة عالمية وصارت الدولة العثمانية غير الدينية تؤدي دورًا محوريًّا في الحداثة الإسلامية.

أدى استعمال القوة في فرض الأفكار العلمانية في إيران وتركيا إلى نتائج عكسية، وتولد نواة حركات معادية لهذه المحاولات واستقطبت مدينة قم في إيران كل الحركات المعادية لحكومة طهران، ومن الجدير بالذكر أن سائر المرجعيات الدينية الشيعية في إيران كانت لا تزال تمتلك نفوذًا كبيرًا على صنع القرار السياسي، ومن الأمثلة المشهورة على ذلك كانت الفتوى التي صدرت في سامراء وأحدثت ضجة في إيران عام ١٨٩١م وفيها أفتى «محمد حسن شيرازي» الإيرانيين بوجوب مقاطعة تدخين التبغ وحدثت بالفعل مقاطعة واسعة النطاق لمدة شهرين حيث اضطر الشاه على أثرها لإلغاء عقود تجارية ضخمة مع عدد من الدول الأوروبية حيث كان الشاه في ذلك الوقت يحاول الانفتاح على الغرب.

من أحد أسباب عدم نجاح الفكر الإلحادي والعلماني في اختراق المجتمع الإسلامي ظهور الحركات الإسلامية التجريدية، والتي حاول أصحابها إعادة إحياء الروح الإسلامية بين المسلمين بعد قرون من «الانحطاط».

فمن أفغانستان ظهر جمال الدين الأفغاني (١٨٨٧ - ١٨٣٨) ومن مصر محمد عبده (١٩٠٥ - ١٨٤٩) وفي الهند ظهر محمد إقبال (١٩٣٨ - ١٨٧٧) وشهد القرن العشرون صراعًا فكريًّا بين الفكر الإسلامي وأفكار أخرى مثل الشيوعية والقومية العربية، وعانى فيه الإسلاميون من القمع السياسي الشديد، ومن الملاحظ أنه حتى الشيوعين والقوميين لم يجعلوا من الإلحاد مرتكزًا فكانت هناك ظاهرة غريبة بين بعض الشيوعيين حيث كان البعض منهم يتشبث بالإسلام كعقيدة دينية إلى جانب اقتناعه بالشيوعية كمذهب اقتصادي، ولهذا السبب تجد في مراكز الحزب الشيوعي في العالم العربي مصلى لإقامة الصلاة.

أنواع الإلحاد

هناك أنواع كثيرة من الإلحاد، ولكل نوع شكله الخاص وعوامله المختلفة، فمثلًا هناك «الإلحاد المطلق» وهو إنكار الألوهية وما يتفرع عنها من رسل ورسالات، وهناك ما هو أقل مثل «الإلحاد الجزئي» من خلال الاعتراف بوجود إله خالق مع إنكار تصرفه وسيطرته على شئون البشر، وهناك أنواع أخرى مثل «اللاقدرية» و«العدمية» وهي اليأس من عدالة الأرض والسماء والشعور باللاجدوى، وكذلك «الإلحاد العابر» في مرحلة من مراحل العمر وخاصة المراهقة والشباب، و«الإلحاد الباحث عن اليقين» وهناك «الإلحاد التمردي» من خلال التمرد على السلطة أيًا كان نوعه.

لهذا نجد أن الكثير من حالات الإلحاد لدى الشباب لا تجدى معها الحوارات الدينية ولا تقديم الأدلة والحجج والبراهين؛ لأن الأصل في المشكلة ليس دينيًا أو عقليًا وهو ما يجعل الملحد يكثر من الجدال لأنه يريد تحقيق انتصار على الرموز الدينية التي يكرهها وعلى المجتمع الذي يرفضه وعلى السلطة التي يتمرد عليها، وقد يرفض الملحد أية أدلة على الألوهية لأن إلحاده يحقق له ذيوع الصيت بين أقرانه.

- أسباب الإلحاد وعوامل انتشاره:

لعل من أهم العوامل والدوافع النفسية وراء الإلحاد هو: الأب القاسي والضعيف، وعدم وجود الأب، وأيضًا التشدد الديني حيث يكون الفرد شديد الخوف من الله، في الوقت الذي يكون متعطشًا لارتكاب المحرمات، ولكي يعصي الله دون تأنيب ضمير يقنع نفسه بأنه ليس هناك إله وأن هذه خرافات ومن دوافع الإلحاد النفسية أيضًا الإحساس بالنقص حيث يكره الإنسان نفسه بسبب عيب ما في خلقته فيكون إلحاده بمثابة اعتراض على خالقه، ومثل ذلك الاضطهاد الذي تعانيه المرأة باسم الدين فهو شرارة

البداية التي جعلت كثيرات من النساء يتركن الدين، ويتساءلن عن مدى صحته أو ملاءمته ويشكون في عدل الإله وهناك أيضًا الغرور المعرفي والثقافي، الذي قد يقود الإنسان إلى الانحراف الفكري والإلحاد. وكذلك سطوة الشهوات حين لا تكون سببًا مستقلًّا وحدها ولكنها بمنزلة المحفز للجوء لخيار الإلحاد كي يهرب الإنسان من وخز الضمير.

وأحيانًا تجد الإلحاد وقد أصبح لدى البعض بمجرد موضة ومراهقة فكرية أو وسيلة للفت أنظار الآخرين واستعراض العضلات! وغالبًا ما تجد هذا التوجه عند الأشخاص محبي الظهور والبروز ولفت النظر.

وهناك عوامل أخرى تساعد على انتشار الظاهرة منها ارتفاع نسبة الجهل والتخلف الاقتصادي والسياسي والتنموي، وأيضًا اقتران القوة المادية بالإلحاد، كذلك يرى البعض في الإلحاد سببًا للقوة والعلم ويعتبر أن الدين يعني التخلف والجهل.

وقد كشفت مواقع التواصل الاجتماعي المتعددة الكثير من هذه العلل النفسية، بعد أن وفرت لهؤلاء الشباب المغرر بهم مساحات كبيرة من الحرية أكثر أمانًا للتعبير عن آرائهم ووجهة نظرهم في رفض الدين بعيدًا عن التابوهات التي تخلقها الأعراف الدينية والاجتماعية، وقد رصدت هذه المواقع تصريحات لعدد من الشباب الذين أكدوا أنهم لا يعارضون الدين ولكنهم يرفضون استخدامه كنظام سياسي داعين إلى فصل الدين عن الدولة، في حين رفض فريق آخر منهم الدين أو رفض الإله ككل.

ومن أهم أسباب انتشار ظاهرة الإلحاد الخطاب الديني المتشدد الذي تصدره التيارات الإسلامية المتزمتة التي تؤصل لأهم مشكلات التدين في العصر الحديث، وهي إشكالية الصراع بين الجوهر الروحي والخلقي الذي يمثل حقيقة الدين - وبين القشرة الشكلية الخارجية التي تصلح أمارة

وعلاقة - فقط - على أن هذا الإنسان ينتمي إلى ذلك الدين ويمارس تلك الشعائر، فهذه التيارات لا تعرف سوى التشبث بالأمور الشكلية التي قد تبعد الناس عن الدين.

وقد ظهر من الدراسات والإحصائيات أن الإلحاد في السنوات الأربع الماضية قد شهد نشاطًا كبيرًا، فقد ظهرت عشرات المواقع الإلكترونية على الإنترنت تدعو للإلحاد وتدافع عن الملحدين، وهذا لا يتماشى مع الأرقام الضئيلة لأعداد الملحدين التي أشار إليها مستشار مفتي الديار المصرية نقلًا عن مركز» ريد ستي» التابع لمعهد «جلوبال» والذي يبدو أنه راعى حرص الدول العربية على عدم الإعلان عن أعداد الملاحدة الحقيقية.

ويتهم علماء الاجتماع والنفس«السياسة» بأنها مسئولة مسئولية مباشرة عن انتشار ظاهرة الإلحاد خاصة في مصر والوطن العربي في الفترة الأخيرة حيث أصبح من الملاحظ أن البلدان التي شهدت ما عرف بثورات الربيع العربي هي أكبر الأماكن التي أصيبت بظاهرة الإلحاد خاصة في ظل تعثر تلك الثورات التي أجهضت وتم اختطافها بواسطة قوى يمينية أو يسارية أو نظم قديمة فاسدة تظهر في شكل جديد، وهو ما جعل الشباب يكفرون بقيم الحرية والكرامة الإنسانية وإمكانية تغيير مجتمعاتهم إلى الأفضل، فقد قاموا بالثورات وقدموا شهداء، ثم ضاعت جهودهم ومن هنا كفروا بكل شيء وتمردوا على كل شيء.

ويشير البعض إلى أن سبب تلك الظاهرة يرجع بشكل مباشر إلى الحالة العامة التي تعيشها مصر من انفلات أخلاقي وانتشار التطرف في المجتمع والذي تسبب في ظهور الكثير من الظواهر الجديدة على المصريين مثل النقيضين؛ التطرف التكفيري والإلحاد، وكذلك حوادث التحرش والاغتصاب.

- الإلحاد العصابي:

ولا ينبغي أن يغيب عنا كسبب مهم وراء الإلحاد نوع من الخلل النفسي (العصاب Neurosis) الذي يؤدي إلى تبني الإلحاد على المستوى الفردي، فبعد دراسات تحليلية مستفيضة أجراها أستاذ الطب النفسي الكبير بجامعة نيويورك «بول فيتز Paul Vitz » على شخصيات عديدة من كبار ملحدي العصر الحديث توصل إلى أن تبني الإلحاد قد يرجع إلى» خلل نفسي عصابي «Athiesmisa Neurosis» تقف وراءه رغبة دفينة في اللاشعور للتخلص من سيطرة الأب والحلول محله - كما يقول سيجموند فرويد - بينما يقف وراء الإيمان بإله ما يحققه من الشعور بالأمان. لذلك طرح بول فيتز مفهومًا أسماه:

«منظور التقصير الأبوي Defective Father Hypthesis » يربط فيه بين رفض سيطرة الأب البشري ورفض الأب الذي في السماء، كذلك هناك بعض حالات الإلحاد تكون مدفوعة لاضطرابات نفسية نذكر منها:

أولًا: اضطرابات الشخصية مثل«الشخصية الحدية» وهي شخصية متقلبة في مشاعرها وعلاقاتها وإنجازاتها ومعتقداتها، وتتميز بالاندفاعية وإيذاء الذات والملل المستمر، ولهذا نجد صاحب هذه الشخصية يتقلب في معتقداته الدينية فأحيانًا تجده متطرفًا دينيًا وأحيانًا تجده علمانيًا أو ملحدًا، ومثل«الشخصية البارانوية» ويتميز صاحبها بالاستعلاء وسوء الظن والشك في الآخرين واحتقارهم واحتقار معتقداتهم، وهو يستعلي على العامة ويرغب في أن يأخذ طريقًا خاصًا ينفرد به كما يستعلي على الإيمان ويمكن أن يستعلي حتى على فكرة الإله الرب، وأيضًا «الشخصية النرجسية» وهي شخصية استعراضية تميل إلى المخالفة لجذب الاهتمام ونيل الشهرة والتمركز حول الذات، لذلك فأصحاب هذه الشخصية يرغبون

في إعلان الإلحاد والتباهي بذلك ووضع صورهم على صفحات الإنترنت ويرغبون في الدخول في مناقشات وجدال يضعهم تحت الأضواء.

ثانيًا: الأمراض النفسية مثل «الفصام، والاضطراب الوجداني، والاضطراب الضلالي، واضطرابات التوافق»، وهذه الاضطرابات تؤثر في تفكير الشخص ومشاعره وعلاقاته بالآخرين وبالحياة وقد تجعله يتوجه إلى اعتناق أفكار مخالفة لعموم الناس وعلى الجانب الآخر قد تدفع هذه الحالات المرضية صاحبها للتطرف في التدين كنوع من الدفاع النفسي ضد التفكك أو القلق أو الخوف.

لذلك كان من المهم أن نفرق بين أنماط ومستويات الإلحاد المختلفة، وأن ندرس كل حالة على حدة ونراعي الدوافع الكامنة وراء إلحاد كل شخص ولا يغرينا وجود عوامل مشتركة بأن نعمم الأحكام على الجميع.

وإذا كان لكل حالة سيناريو خاص للتعامل معها، فإن هناك قواعد عامة في التعامل مع هؤلاء الشباب منها: التفهم، والصبر، وطول البال، واستيفاء علامة جيدة رغم اختلاف وإعطاء الفرصة للتفكير والتيقن، وعدم فرض أفكار سابقة التجهيز؛ لأن المهم هو الاقتناع وليس الإذعان أو التظاهر بإيمان زائف، ولا شك أن العلاقة الطيبة مع الشخص ومساعدته على تجاوز أزماته النفسية والسياسية والاجتماعية تكون أهم من محاولات إقناعه بأدلة دينية وبحجج وبراهين عقلية أو نقلية.

- الإلحاد قصور عقلي:

إذا كان الإلحاد يدور عمومًا حول نفي أو إنكار وجود الله، - «الله «الذي هو الرب الخالق للكون والمنعم المعبود - فهل يستطيع «العقل» و«العلم» أن ينفيان وجود الإله، ليس لكونهم متهورين فكريًا، بل لأنهم يتجاوزون بـ «العقل والعلم» نطاقهما فـ«العقل والعلم» كلاهما له حدوده المعلومة التي

زادها البحث المعاصر تأكيدًا وتوضيحًا، حتى أصبحت كلا من العقلانية في قولها بالأسبقية المطلقة لـ»العقل» والعلمانية بمبالغتها في تقدير أهمية العلم غير ممكنتي بعد نسختهم مما حصلوه من عدة معرفية ومنهجية! فقد غاب عن هؤلاء أن الإله لا يستشهد عليه بالحس والإدراك المباشر باعتباره غير مادي ومن ثم يستدل عليه بآثاره تمامًا كالجاذبية والكهرباء، بل وأيضًا كعقل الملحد ذاته، لذلك فإننا ننظر إلى الإلحاد باعتباره لعبة عقلية تتم في القشرة الخارجية للمخ (Cortex) وهي أشبه ما تكون بتلك اللعبة العقلية التي تطالبنا بأن ١ + ١ = ٢ فهذه المعادلة رغم اتفاق عقلاء الأرض على صحتها إلا أن أرادوها الفلاسفة في كتبهم ولم يجدوا لها حلًّا إن هذا النوع من القضايا لا تجد له حلًّا إلا في كتب المنطق فالقضية بديهية عقلية ومفهوم فطري ومن ثم فالقضية نفسية في المقام الأول والأخير، وبحاجة إلى حلول نفسية وإعادة تأهيل، قبل كونها بحاجة إلى حشد حجج أو أدلة أو سياقات معرفية عقلية.

هل الإلحاد مرض؟

هل الملاحدة يعانون ضلالًا Delusion ؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي علينا تعريف الضلال أولًا، إنه اعتقاد خاطئ بعيد عن الحقيقة لا يمكن مناقشته بطريقة موضوعية، وتدور كل حياة المصاب حول هذه المنظومة الضلالية وتصبح محور معاناته «الضلال» يحتمل أن يكون ضلالًا اضطهاديًّا أوضلالًا بالإثارة والتلميح أو ضلالات الغيرة والخيانة الزوجية أو ضلالات التوهم الجسدي أو ضلالات العظمة ... إلخ، ويقع تحت تشخيص اضطراب الضلالات الاضطراب البارانويدي (أوالفصام البارانويدي)، وأحيانًا تحدث تلك الضلالات مع الاكتئاب أو الهوس الذهاني والضلالي، ولكن التعريف السابق للضلال لا يشمل التوجهات السياسية أو الدينية وإلا لاعتبرنا الشيوعية أو النازية أو الفاشية ... وحتى الديمقراطية! ضلالات.....

وعادة ما تتكون الشخصية Personality من سمات Trauts ومزاج Temperament وأخلاق Character ومن «السمات» ما توصف بأبعاد الانطوائية – الانبساطية والتوازن العاطفي وعدم النضوج العاطفي، وكذلك العصابية Neuroticism التي تتميز بالحساسية المفرطة والتعرض للقلق والهلع، وأيضًا الذهانية Psychotocism التي هي الإغراق في سلوك مضاد للمجتمع سواء الكذب أو القسوة أو السرقة أو الإدمان، وأخيرًا أبعاد التطرف والراديكالية والمحافظة والليبرالية.

معنى ما سبق، أن الإنسان قد يولد وعنده استعداد للتطرف يساعد على اعتناقه لأفكار تطرفية، ولذا نجد أن الكثير من الملحدين لهم نفس الأفكار، ومثلهم أصحاب التطرف الديني بأنواعه المختلفة وكذلك توابعه الذهانية بما يشركون فيه من القسوة والقمع والقهر والقتل ... إلخ.

وعادة ما يعاني بعض الملحدين سمات في الشخصية تجعلهم يميلون إلى الجنوح للأفكار التي تختلف عن تقاليد غالبية المجتمع، ولا ننسى أن كلمة جنون جاءت في القرآن الكريم خمس مرات وصف بها الكفار الأنبياء عندما أتوا بأفكار بعيدة عن تقاليد مجتمعاتهم ومن ثم الجنون ستار على العقل، وكذلك الجن يوجد ستار على إدراكه.

ويذكر د. عمرو شريف في كتابه القيم آراء بعض المتخصصين عن اضطراب الشخصية الإلحادي «Atheism Personality Disorder» وأجدني أفضل تصنيف هذه الشخصيات الإلحادية ضمن أحد الاضطرابات الشخصية المعروفة والتي تتواجد في حوالي ٤ - ٥٪ من مجموع أي شعب وهي الشخصية الحدية

«Borderline Personality Disorder» وتتميز بالاندفاعية وصعوبة التواصل في العلاقات الحميمة، وكذلك الشعور الدائم بالملل، والتقلبات المزاجية والميل إلى إيذاء الذات أو الآخرين، والميل إلى الإدمان والإصابة بنوبات ذهانية - عقلية - أو اكتئابية، وتزيد على ذلك في النساء اضطرابات صورة الجسم من نحافة أو سمنة.

ومحصلة الأمر أن الطب النفسي لا يعالج الضلالات إلا إذا أدت إلى تدهور في الشخصية والعلاقات الاجتماعية والعمل ويمكن في كثير من الحالات تشخيص وجود مرض ولكن إذا لم يؤثر على مجرى حياة الفرد فلا يصح إطلاقًا تعريضه للعلاج النفساني.

وسائل مواجهة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية

الإلحاد شيء غريب وغير مقبول في المجتمعات الإسلامية، ربما يقول قائل: الملاحدة في المجتمع المسلم قليل، فلماذا هذا التضخيم في حجم هذه الظاهرة الغريبة والقليلة التواجد في المجتمع المسلم، ولماذا يُطرح هذا الموضوع أصلًا؟

والجواب لهذا القائل ما الذي يدريك أن الإلحاد قليل؟ ومن أين لك بهذا الحكم؟ بل لعل الواقع مع انتشار القنوات الفضائية الإباحية أسوأ مما نتوهم بكثير، وإذا سلمنا بمقولة أن الإلحاد قليل فهل من الحكمة أن نتجاهل هذا القليل إلى أن يكثر وأن نعرض عن الكلام عنه؟!

وهل من الحكمة والعقل إذا ما اكتشف في بلد وباء يهلك الحرث والنسل ويخشى من انتشاره وأن الحالات المسجلة كانت ليست إلا حالة أو اثنتين؟ فهل من العقل والحكمة أن نعرض عن هذا الشأن بالكلية لأن المصابين قليل أم أن من الحكمة والعقل أن نستنفر جميع القوى وجميع الإمكانات لدفع هذا الوباء؟

فما بالكم إن كان هذا الوباء هو آفة العصر!! إنه الإلحاد، وإذا كانت المواجهة والمقاومة واجبة في أوبئة الدنيا فما الحال مع أعظم وباء؟ وباء جحد الخالق تبارك وتعالى والكفر بوجوده وبرسالاته وأنبيائه، والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن هذا الوباء يصيب كل المجتمعات بلا استثناء الشرقي والغربي على حد سواء، وإن سلم منه مجتمع فإن كثيرًا من المجتمعات قد يقع تحت وطأته.

• إذن فالطرح مفيد، ولا بد لهذا ولذاك المبحث من العلاج والوقاية منه في آن واحد، والسعيد مَنْ وُعظ بغيره.

• إن رسائل مواجهة الإلحاد كثيرة ولكن يجب أولًا أن نعي أنه لن يحدث انحراف في الغالب لشبابنا الذي تربى على الإيمان ولن يستطيع الملاحدة أن يجروا شبابنا إلى قذارة الإلحاد إلا إذا حدث تقصير منا بوجه أو بآخر من ذوي المسئولية التربوية والعلمية والدعوية كالأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام والموجهين والدعاة ... إلخ.

والغالب أن استشعار طلاب العلم والقادة والموجهين بهذه المسئولية سيؤدي بتوفيق الله إلى نشاط واجتهاد في الوقوف أمام هذا المهد الإلحادي المدعم من الماسونية والصهيونية العالمية، ويمكن إيجاز سبل المواجهة في نقطتين هامتين هما الوقاية، والعلاج.

• أما سُبل الوقاية فإنها تهدف إلى بذل الأسباب التي تحول وبتوفيق من الله عز وجل ما بين الشباب وبين الوقوع في براثن الإلحاد وهذه السُّبل يمكن إيجازها في الآتي:

١ - العكوف على كتاب الله، تلاوة وتدبرًا.

٢ - السعي في الوصول إلى تذوق طعم الإيمان ووجدان حلاوته من خلال التأمل في صفات الله جل وعلا، ومن خلال التأمل في صفات الله وتذوق طعم الإيمان لا يكون هناك مجالًا لتذوق أي طعم آخر.

٣ - غرس العقيدة الصحيحة في النفوس منذ نعومة أظافر أبناءنا وبكل الوسائل الممكنة - كالدروس، المحاضرات، والخطب، والبرامج، والمناهج، وكل الطرق ولا سيما الأصول التي يؤدي الرسوخ فيها وبتوفيق من الله إلى تفكيك الفكر الإلحادي كالإيمان بالغيب والإيمان بالقدر واعتقاد الحكمة في أفعال الله مع بيان حقيقة الإيمان وحقيقة الإلحاد وخطره والعلاقة بين العقل والنقل.

٤ - تقوية الشعور بالاستعلاء الإيماني والنعمة الإيمانية واليقين بأن

الله مع المؤمنين يمدهم بعونه وتوفيقه وأن منقلب المؤمنين بالله الواحد القهار هو في الآخرة إلى جنات النعيم حيث غاية لذتهم في رؤية البر الرحيم سبحانه وتعالى.

٥ - الترشيد الثقافي بملاحظة التلقي: مصادره التي يستقي منها الشباب أفكارهم وخاصة ما هو مبثوث عبر الفضائيات، وفيما يقرأون وفيما يتابعون من مواقع ولا يترك لهم الحبل على الغارب، وإن من أعظم الأخطار علينا أن يسمح للناشئ أن يبحر في شبكة الإنترنت كيفما يشاء دون رقيب أو حسيب، ولن نصل إلى تحقيق الطمأنينة والأمن لأبنائنا إلا إذا وصلت العلاقة ما بين الابن وأبيه والأخ وأخيه والمعلم وتلميذه إلى مرحلة الصداقة بحيث يكون الصدر مفتوحًا أمام هؤلاء الشباب ليبثوا الشبهة التي يتعرضون لها والأسئلة التي تحيرهم وأن يجدوا الإجابات عندنا بدلًا من البحث عن أجوبتها في جحور الحيات والعقارب من الملحدين.

٦ - تأصيل المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات وذلك - بالتأني - عن تملك الشبهات والسعي إلى كشفها وهذا من الأمور الهامة التي ينبغي أن نعتني بغرسها في نفوس الناشئة، وهو أن الشبهة داء ولا ينبغي التعرض للداء، وكما قال السلف منع المبادئ أولى من قطع التمادي، والشبهة فتنة وعليه يجب أن يُقنع الناشئة وغيرهم بأن لا يرخوا أسماعهم لمن يبث في نفوسهم الشبه فإن الشبهة خطافة والقلوب إن كانت ضعيفة كانت مهلكة، فالاستماع للشبهة إذن مغامرة غير محسوبة العواقب وكم من انسان ظن في نفسه القوة والعلم فولج إلى موقع أو استمع إلى مُلبس فأوقع في صدره شبهة لم تخرج منه بل صرعته وفعلت به الأفاعيل، ثم إنه إذا ابتُلي بها عن غير تنفير عنها، فعليه أن يلجأ إلى الله في أن يعافيه منها ثم أن يراجع على عجل أهل العلم لكشفها.

• هذا هو الحق المبين، وما سواه فتلبيس مردود يسوقه دُعاة الضلالة في جُمل براقة، تدعو إلى التنوير والانفتاح الثقافي غير المنضبط والهدف من ذلك أن يُترك الشباب نهبًا لهم فيوجهونهم إلى حيث شاءوا.

• والمنهج الشرعي الفعال في ذلك هو الحذر من الفتن والتحذير من أهلها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على أيدي السفهاء.

٧ – رعاية الشباب المبتعثين إلى أوروبا وأمريكا وغيرها من البلاد التي يكثر فيها ظواهر الإلحاد والعبثية، والواجب على الحكومات أن لا يقفوا مكتوفي الأيدي ويتركوا هؤلاء الشباب وهم حدثاء في أسنانهم ضعيفون في تجربتهم أن يقعوا صيدًا سهلًا لهؤلاء الملاحدة ولهذه الدعوات الهدامة، وعلى الجهات الرسمية المعنية بالدعوة والإرشاد والملحقات الثقافية واجب في توعية الشباب وتحذيرهم وأن يكونوا الصدر الواسع الذي يحتضنهم والذي تتكسر على عتباته أمواج الشك التي قد تحيط بهم، وعلى الدعاة أن لا يغيبوا عن زياراتهم في أماكنهم مع التواصل مع النوادي الطلابية ورؤسائها وأمنائها، وكذلك ينبغي أن يكون لطلبة العلم الشرعي مشاركة في المواقع المخصصة للشباب المبتعثين وملتقياتهم ومجموعاتهم البريدية، كما ينبغي تعاهدهم من وقت لآخر من خلال الجهات المعنية بالرسائل والمطويات والمنتديات التي تعالج هذا الجانب المهم.

٨ – أن تقوم الجهات المسئولة عن رعاية الشباب أو التعليم أو غيرها بتجفيف منابع الإلحاد واجتثاث أسبابه.

٩ – التواجد المستمر للهيئات العلمية للرد على الشبهات أولًا؛ لأن الإلحاد ليس قضية علمية ثابتة، وإنما هو مجموعة وساوس والوساوس إنما تتقاذف من خلال شياطين الإنس والجن.

وعلاج ذلك بالمناصحة الإيمانية والعقلية والسعي إلى اجتثاث هذا

الفكر بأسلوب هادئ حكيم وينبغي أن يتصدى لهذا داعية على علم عنده باع في هذا الأمر، لا جاهل يزيد الطين بلة.

١٠ - الرد على الملاحدة ونقض شبهاتهم يجب أن يوزن بميزان الذهب في التصدى والرد فالرد يجب أن يكون محكمًا قويًّا لأن الرد الضعيف في مادته أو الضعيف في أسلوبه يضر أكثر مما ينفع، وينبغي ألا يتصدى لمناظرة الملاحدة إلا مَنْ أعد العدة وأخذ للأمر أهميته وتفطن إلى مداخل الملاحدة ومغالطاتهم التي قد يباغتون بها مناظريهم.

المراجع والمصادر

- الإسلام يتصدى للإلحاد - د. محمد نبيل النشواتي.
- ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية - ناصر بن سعيد بن سيف.
- ميليشيا الإلحاد - عبد الله بن صالح العجيزي.
- الإلحاد - د. حسام الدين حامد.
- ثلاث رسائل في الإلحاد - عبد الله بن سعيد الشهري.
- نقد العقل الملحد - د. خالد كبير علال.
- الإلحاد وأسبابه - د. زينب عبد العزيز.
- الإلحاد ووسائله - صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي.
- كيف تدعو ملحدًا - مدحت بن الحسن آل فراج.
- الله يتحدى الملحدين - د. محمد شيخاني.
- الإلحاد وطبائعه - محمد الخضر حسين.
- صراع مع الملاحدة - عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني.
- وهم الإلحاد - د. عمرو شريف.
- مواقع مختلفة من شبكة الأنترنت.

فهرس الموضوعات

تقديم ٥

الإلحاد وتعريفه ٩

النظريات الفلسفية للإلحاد ٤١

مرتكزات الفكر الإلحادي ٢١

الوسائل المعاصرة لنشر الإلحاد ٦٢

الإلحاد مشكلة نفسية ٤٣

أشهر الملاحدة وعقدهم النفسية ٣٨

الدوافع النفسية للإلحاد ٢٤

الإلحاد ونظرية التقصير الأبوي ٦٠

الملاحدة وآباؤهم ٧٤

الملاحدة الجدد ٨٠

الإلحاد والدوافع الشخصية ٩٠

الإلحاد والانحرافات الجنسية ٩٨

الإلحاد والتوحد ١١٠

هل الملاحدة هم الأذكياء؟ ١١٣

حرية الإرادة والاختيار ١١٥

الإلحاد أغبى مذهب ١١٧

بانوراما الإلحاد آفة كل عصر ١٢٥

الإلحاد في اللغة العربية ١٢٧

الإلحاد في العالم الإسلامي ١٣٧

أنواع الإلحاد ١٤٠

هل الإلحاد مرض؟ ١٤٦

وسائل مواجهة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية ١٤٨

المراجع والمصادر ١٥٣